الباب الأوّل

الإنشاء

- اللّغة والفكر
- اللّفظة
- الجملة
- الفقرة
- قواعد كتابية وتحريرية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

اللُّغة والفكر

- اللغة
- علاقة الفكر باللغة
- علاقة الكتابة باللغة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:١٣).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(إبراهيم: ٤).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾(الأنعام: ٥٠).

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾(الزخرف: ٥٢).

صدق الله العظيم

اللّغة

خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام في أحسن صورة، وخلق حواء لتكون له زوجا وأنيسا. ثم هبطا إلى الأرض ليكونا نواة المجتمع الإنساني الذي نما وتطور عبر السنين، وتكوّنت الشعوب والقبائل والأمم. ومنذ هبوط آدم وحواء إلى الأرض لم يكن الإنسان منعزلا منفرداً بنفسه، بل كان دائماً فرداً في مجتمع يتصل بإخوانه في القبيلة، وتتعارف القبائل والشعوب ببعضها. ومن ثَمَّ يمكن القول إن الإنسان خلق اجتماعيا، ولا يمكن تصور إنسان يستطيع العيش

obeikandl.com

ـ باختياره ـ في عزلة عن بني جنسه. وعَبَّرَ أحد علماء الاجتماع عن هذه السمة المميزة للإنسان بقوله: «إن الإنسان لا يسمى إنسانا لمجرد أن له جسم إنسان يحتوي على مخ فحسب، بل أيضا لأنه يُنظَرُ إليه عضو في مجتمع إنساني.. ويراه الآخرون إنساناً»[١] يشاركهم معتقداتهم وقيمهم وسلوكهم، هو منهم وهم منه. ليس هناك المجتمع الإنساني بدون الفرد المشارك فيه، ولا حياة للإنسان المنعزل عن مجتمعه.

وميّز الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان بميزة أخرى خصه بها دون سائر مخلوقاته؛ هي العقل الذي يفكر به. فالإنسان لا يتصرَّف في حياته تبعا لغرائزه دون تحكم، بل يتدبر ويتأمل ويناقش ويفاضل بين بدائل ويتخذ قرارات. والقرآن الكريم مليء بألفاظ تدل على مزية العقل للإنسان منها «تعقلون، تتفكرون، يتذكرون، يتدبرون..» [٢] ولا يسمح المجال هنا بالحديث عن هذه الملكة الهائلة التي لم يستطع الإنسان أن يصنع مثلها. فمهما تُقدِّم الحاسبات الأليكترونية والعقول الآلية والذاكرة المغناطيسية من التطور والتعقيد فستظل من صنع الإنسان محدودة في قدراتها وعملياتها بالمقارنة بما يستطيعه العقل الإنساني الذي هو من صنع الله جلّت قدرته[٣]. والعقل لا يميّز الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة فحسب، بل يميّز أيضا بين شخصين في المجتمع أحدهما يستخدم عقله، والآخر لا يستخدمه لسبب أو لآخر. كلاهما عضو في المجتمع،

---

(١) Cherry, C., On Human Cummunication, 3rd ed., Cambridge, Mass. p. 307 (1978).

(٢) مثلاً: الحديد ١٧، البقرة ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٢، الأنعام ٥٠، آل عمران ١٩١، الحشر ٢١، النحل ٤٤، وفي مواضع أخرى كثيرة.

(٣) انظر مقارنة بين العقل البشري وشتى «العقول» الآلية التي توصل إليها الإنسان في كتاب: On Human Cummunication, pp. 207 ff.

لكن الأول منهما عضو عامل ومشارك في مجتمعه، وأما الآخر فعضو مشلول عاجز عن المشاركة في المجتمع، والفارق بينهما العقل.

وتأتي الموهبة الإلهية الكبرى التي ألهم الله ـ عزّ وجل ـ الإنسان بالتوصل إليها؛ إنها اللغة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هذه اللغة التي نتحدثها ونكتبها، وتحتل الجزء الأكبر من نشاطنا اليومي على الإطلاق. نكتسبها منذ طفولتنا المبكرة، ونكبر بها وتكبر معنا. وبرغم هذا كله لا نكاد نعرف عنها شيئا، ومن النادر أن يقف أحدنا عندها ليتعرف عليها، ويتعرف على الجوانب المهمة والعديدة لها في حياتنا. ولا يسمح المجال هنا بالحديث عن نشأتها، وتطورها وتفرعها، ودراستها المتخصصة.. إلخ[1].

ويكفي أن نشير هنا إلى أهم دور تلعبه اللغة في حياتنا. فاللغة هي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع، ولكي يكون الكائن الحيّ إنسانا عليه أن «يتصل» ببني جنسه، ولا يسمى إنسانا حتى يتمّ «الاتصال» بينه وبين المجتمع، نعني الاتصال الفكري والوجداني والسلوكي، ووسيلة هذا الاتصال هي اللغة؛ عن

(١) من أراد التعرف على هذا المسائل بقدر من التفصيل، وما يتعلق منها باللغة العربية بصفة خاصة، يمكنه الرجوع إلى:

حسن ظاظا، اللسان والإنسان، الإسكندرية (١٩٧١)، وفيه يعرض المؤلف بأسلوب علمي ممتع لنشأة اللغة، وتعريفها، وعلومها، وتصنيف اللغات إلى عائلات. وأيضا كتابه:

كلام العرب، الإسكندرية (١٩٧١)، وفيه يخصص المؤلف الحديث عن اللغة العربية، فيعالج أصواتها، ونمو ثروتها اللفظية وخصوصياتها اللغوية. وأيضا كتابه: الساميون ولغاتهم، الإسكندرية (١٩٧١)، وفيه يعرف الدكتور ظاظا بالجنس السامي والشعوب السامية ولغاتهم.

طريقها يتفاهم الفرد مع مجتمعه، يطلب حاجاته، ويعبرّ عن تجاربه طلبا لمشاركتهم، ويستفيد من تجارب الآخرين، ويضيف إسهامه في تجارب المجتمع وعن طريق اللغة أيضا يتصل الفرد بتراثه في الماضي، ومن ثمّ يصبح كل جيل حلقة في سلسلة متصلة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، وعن طريقها يفرض المجتمع شروط عضويته على الفرد. إنها البوتقة التي ينصهر فيها الأفراد لتكوِّن كلاً متجانسا فكرا ووجدانا وسلوكا.

علاقة الفكر باللغة

ويلتقى الفكر واللغة في علاقة معقدة إلى حد كبير نالت من اهتمام الباحثين المتأخرين جانبا كبير[١]، وأصبحت تمثل موضوعًا يصفه الدكتور ظاظا بقوله: «ما يزال يعتبر من أشد مباحث علم اللغة تعقيداً، وأكثرها طرافة في آن واحد»[٢]. وربما جاز القول إن هذه العلاقة المتبادلة بين اللغة والفكر هي جوهر التكوين الفكري والوجداني للفرد، وهي جوهر الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد. ولعلّ مفتاح القضية يتمثل في السؤال الآتي: هل يستطيع الإنسان التفكير بدون لغة؟

انقسم الباحثون في الإجابة عن هذا السؤال؛ تبع فريق منهم المفكر اليوناني أفلاطون الذي يعرّف الفكر بأنه «حوار يقوم به العقل مع نفسه حول أيّ موضوع يتناوله»، ويضيف أفلاطون قائلا: «يبدو لي أنه عندما يقوم العقل بالتفكير فهو ـ ببساطة ـ يتحدث إلى نفسه، فيصوغ أسئلة ويجيب عنها ... ومن

(١) يمكن الاطلاع على الفصل القيّم الذي عرض فيه الدكتور ظاظا لهذه القضية في كتابه «اللسان والإنسان»، ص ص ٦٩ ـ ٧٥ . أما الكتب الأجنبية فكثيرة ومتعددة.

(٢) حسن ظاظا، اللسان والإنسان، ٦٩ .

ثمّ يمكنني أن أصف التفكير بأنه حوار، والقرار (الذي يصل إليه الإنسان نتيجة للحوار الداخلي) بأنه تقرير Statement يعلنه الإنسان لا لشخص آخر بل يقوله لنفسه في صمت»[١]. هذا يعني أن التفكير يتم في لغة صامتة بألفاظها وتراكيبها كما لو كان الإنسان يحاور شخصاً آخر. فعندما يفكر طالب في الالتحاق بكلية جامعية فإنه يحَاور نفسه في لغة صامتة: أأدخل كلية الهندسة أم الطب؟ ويجيب نفسه في لغة صامتة أيضا: إذا دخلت كلية الطب فلابد من إجادة لغة أجنبية، ودراسة الطب تستغرق سنوات أطول...» وهكذا يستمر التحاور الداخلي الصامت في ذهن الإنسان إلى أن يصل إلى قرار في لغة صامتة: «أفضل الالتحاق بكلية الهندسة». وليس شرطاً أن يعلن هذا كله للآخرين بل يمكنه الاحتفاظ به لنفسه.

وربما كان هذا الرأي المبكر لأفلاطون وراء كثير من الآراء اللاحقة. فالعالم النفسي جلبرت رايل G. Ryle يقول: «إن حديث الإنسان مع نفسه في صمت (يقصد بذلك التفكير) لا يتم سريعًا أو بدون جهد، بل لابد أن يسبقه تعلم الإنسان الكلام بفطنة وبصوتٍ عالٍ، وأن يكون قد سمع آخرين يفعلون ذلك، وأن يكون قد فهمهم»[٢]. ويستدل على صحة رأيه بأن الطفل يكتسب اللغة أولا، ويكتسب دلالة الألفاظ قبل أن يتعلم في مرحلة لاحقة، التفكير مع نفسه. ويستنتج عالم آخر «أن الحيوان لا يستطيع التفكير، مثل الإنسان، لأنه ليست لديه لغة يتكلمها»[٣]. ويمكن أن نستنتج من آراء هذا الفريق أن اكتساب الإنسان للغة شرط لقدرته على التفكير.

---

(١) نقلا عن : Language and Thought. ed W. Mac Cromacketal. the Hague (1977). 29

(٢) G. Ryle, The Concept of Mind. New York (1949). 27.

(٣) I. Wittgenstien, Philosophical Imestigation, Oxford (1953). 1. 109.

ويردّ على هذا الفريق عالم آخر هو تسينوفندلر Zeno Vendler بقوله: «إن اكتساب اللغة ليس شرطاً حتمياً لحدوث التفكير»[١]. ويسوق عددا من الأدلة المؤيدة لرأيه، ونكتفي هنا بذكر أهمها وأقواها. يتساءل فندلر: ماذا عن الشخص الأصم الأبكم، والذي قد يكون أعمى أيضاً؟[٢] فمن الثابت أن مثل هذا الشخص «يتصل» مع أفراد مجتمعه عبر لغة الإشارات باليدين والوجه أو اللمس فقط. وثابت أيضاً أنه قادر على التفكير، فالأصم الأبكم يشعر بما حوله، ويتدبر ويحاور ويتخذ قرارات، ومن الجائز أن يغيّر رأيه، وهو يقوم بهذا كله برغم أنه لا يعرف كلمة واحدة من اللغة، ولم يسمع لفظة منذ ولادته فضلاً عن النطق بها.

والسؤال الآن هو: كيف يفكر الإنسان؟. إذا كان التفكير يتم على صورة حوار لغوي داخلي فهذا يستلزم أن الشخص الأصم الأبكم يجري حواراً داخلياً عن طريق تصور ذهني لإشارات اليدين والوجه. وهكذا يضع القائلون، بحتمية العلاقة بين اللغة والتفكير، أنفسهم في موقف صعب، فهم إمّا ينكرون قدرة الشخص الأصم الأبكم على التفكير لأنه لا يملك وسيلة التفكير وهي اللغة، وهذا حكم يرده الواقع الملموس. وإمّا يفترضون أن الأصم الأبكم يفكر عن طريق إشارات داخلية يراها بعين عقله كما لو كان واقفاً أمام مرآة، وهذا افتراض يدعو إلى السخرية.

---

(١) Z. Vendler, " Wordless Thoughts" in Language and Thought, 29 - 45 .

(٢) يذكر المؤلف حالة هيلين كيلر نموذجاً للشخص الأصم الأبكم والأعمى أيضاً. وهي سيدة أمريكية ولدت سنة ١٨٨٠ بولاية ألاباما. وأصيبت بالصمم والعمى عندما كان عمرها سنة ونصفاً. ومن ثم نشأت بكماء أيضاً. استطاعت بمساعدة مربيتها وتصميمها القوي أن تتعلم القراءة والكتابة، وحصلت على شهادة البكالوريوس سنة ١٩٠٤م، ثم عملت محاضرة وباحثة وكاتبة. توفيت سنة ١٩٤٦م وكتبت سيرتها الذاتية تحت عنوان «حياتي».

ويخلص فندلر إلى أنه من الأوفق القول إن الإنسان الأصم الأبكم يفكر، وإن التفكير عنده يتم داخل عقله بطريقة غامضة لم تكتشف بعد. وهذا يدعونا إلى عدم الربط الحتمي بين التفكير واللغة، وأنه ليس شرطا وجود لغة حتى يتم التفكير.

ولكن فندلر يعود ثانية ليقرر أنه إذا كان الواقع يثبت أن التفكير ممكن بدون لغة (حالة الأصم الأبكم) فإن هذا الرأي لا ينطبق على الشخص السليم. فالإنسان السوّي لا يستطيع التفكير دون استخدام اللغة بألفاظها وتراكيبها، وبذلك يتفق فندلر مع رأي أغلب الباحثين الذين يرون رابطة حتمية بين اللغة والتفكير. فكما أن العالم الرياضي يحتاج إلى «رموز» حسابية أو جبرية وهو يفكر في إيجاد رابطة رياضية بينهما، والموسيقار يحتاج إلى «أنغام» وهو ينظم لحنا منسجما منها والرسام يحتاج إلى «ألوان» وهو يكوّن صورة متناسقة ـ وهذه الرموز الرياضية تدور في ذهن المفكر الرياضي وهو يفكر، والأنغام تتردد في سمع الموسيقار وهو يؤلف والألوان تتراءى في مخيلة الرسام وهو يرسم. أي أن كلا منهم لا يستطيع «التفكير» دون استخذام «رموز» يؤلف بينها ويربط بين أجزائها في كُلٍّ متناسق.

فكذلك الأمر نفسه بالنسبة لتفكير الإنسان حول موضوع أو مشكلة أو اختيار بين بدائل، لابد من وجود «رموز» للعناصر التي يحاول الفكر الربط بينها، وتكوين كُلٍّ منطقي منها. والرموز في هذه الحالة هي الألفاظ. اللغة، إذاً، ليست مرحلة تالية للتفكير، أي أن تتم عملية التفكير في فراغ أو بصورة غامضة إلى أن تتكون الفكرة، وحينئذ نَصُبُّها في قالب اللغة، أو نُلبِسها رداء الألفاظ والجمل. بل هذا يعني أن التفكير عملية مركبة من العمل الذهني

المتمثل في الربط والتحليل والاختيار والتنظيم والتركيب... إلخ ومن اللغة التي تمثل العناصر أو الأدوات التي يتعامل فيها العقل. وكل من الاثنين ممتزج بالآخر لافصل بينهما.

هذا يعني أنَّ العلاقة بين الفكر واللغة علاقة جوهرية ذات تأثير متبادل. اللغة تشكل الفكر، والفكر يصوغ اللغة. فمن هنا يكون العقل في حركة دائبة من التفكير، إذ أنَّ التفكير يتألف من عناصر لغوية، وهذا العمل يكاد يشبه في جانب منه، «العقل الآلي». ولكي يقوم العقل الآلي بعملياته المتعددة لابد من «تغذيته» بالرموز الرياضية أو المعلومات التي يجري عملياته في إطارها. وتتوقف صحة عملياته ودقتها على صحة الأرقام أو المعلومات التي نغذيه بها ودقتها.

والعقل البشري يكتسب الإدراكات الأولية عن طريق اللغة التي يتلقاها بألفاظها وتراكيبها منذ السنوات الأولى في حياة الإنسان، ويظل تلقيه لها طيلة سنيّ الحياة. وهو يدير عملياته الكثيرة والمعقدة في إطار هذه العناصر اللغوية. وتتوقف صحة عملياته ودقتها ـ إلى حد كبير ـ على حجم المادة اللغوية المكتسبة والمختزنة، وعلى مدى سلامتها ودقتها. فالشخص الذي يملك ثروة محدودة من الألفاظ تكون إدراكاته محدودة بقدر مساوٍ لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف شيئا لايستطيع تسميته أو التعبير عنه. والشخص الذي يكون مخزونه اللغوي غير واضح وغير سليم يكون تفكيره مساويا في الغموض والتشويش. وكذلك الشخص الذي لا يميّز بين دلالات الألفاظ، ولا يفرق بين طبيعة المعاني يكون تفكيره مساويا في التعميم واللبس مما قد يؤدي إلى نتائج سيئة للغاية. وهكذا نرى كيف تؤثر اللغة بطريقة مباشرة في تكوين الفكر، وتميّز بين درجات التفكير ونوعه: وبين تفكير البدائي والمتحضر، وبين تفكير المثقف.

وقد قلنا إن الفكر يصوغ اللغة وهذا يعني أن يقوم بعملية الاختيار، والتركيب للعناصر اللغوية حتى يخرج التعبير اللغوي قوياً ومؤثراً في الملتقي. فعن طريق الفكر تصبح الألفاظ لغة معبرة عمّا يريد الإنسان إيصاله إلى الآخرين، وليست مجرد ألفاظ جوفاء فارغة. وعن طريق الفكر يتخيرّ الإنسان بين بدائل من الألفاظ تكون أنسب للتعبير عمّا يقصد إليه تماما. وبالفكر أيضا يتخير التركيب الملائم بين هذه الألفاظ المتخيرة حتى يكون التعبير اللغوي أتم وأكمل. وهكذا نخرج بالمعادلة التالية ذات الشقين:

اللغة السيئة الرديئة = تفكيراً مضطرباً مشوشاً

والتفكير القاصر المضطرب = لغة رديئة وتعبيراً ضعيفاً غير مؤثر

وتمثل هذه المعادلة بشقيها الأساس الذي يرتكز عليه حديثنا المفصل عن قواعد الكتابة السليمة بعد قليل. ولكن تبقى كلمة موجزة عن خصوصيات الكتابة.

علاقة الكتابة باللغة

تأتي الكتابة ـ بعد الحديث ـ وسيلة للاتصال بين أفراد المجتمع، ولا يستطيع أحد أن يقلل من شأن الكتابة في وقتنا الحاضر إذ تحتل جانبا كبيراً في حياتنا، وتأخذ قسما كبيراً من نشاطنا اليومي. كلٌّ منا يصرف جزءاً كبيراً من نشاطه إما ناقلا لأفكاره كتابة، وإما قارئا لما هو مكتوب. ولعله يفوق الخيال تصوّر كمية الأوراق المكتوبة في صور شتى، وكلها تتناول الحياة الإنسانية في جميع جوانبها المادية والمعنوية. تربطه بماضيه، وتصوغ حاضره، وتخطط مستقبله. وصدق من قال: «إننا نعيش في عصر الكلمة المكتوبة».

ولعل هذا يدفعنا إلى الحرص على الوقت والجهد اللذين نبذلهما في الكتابة، فنجعل ما نكتبه مثمراً في مضمونه، ومؤثراً في عرضه.

وقد عرف الإنسان الكتابة منذ زمن بعيد، وعمل على تطويرها حتى وصلت إلى الصورة التي نعرفها الآن[١]. شعر الإنسان في البداية بعجزه عن تذكر الأحداث والتواريخ والأعداد، فعمل على تدوينها في صورة ثابتة يمكن الاحتفاظ بها والرجوع إليها كلما دعت الحاجة. فتوصل إلى تحويل الرموز الصوتية ـ أي اللغة ـ من رموز سمعية إلى رموز بصرية يمكن تسجيلها بالنقش أو الرسم. أي أنها تمثل مرحلة تالية في استخدام اللغة وسيلة للاتصال إذ أنَّ اللغة نشأت منطوقة أولا، وكان الحديث ومازال الأساس الأول في استخدام اللغة.

ولكن الكتابة تختلف عن الحديث اختلافاً كبيراً. فمن ناحية، تتفوق الكتابة على الحديث من عدة نواح. الكتابة ثابتة لا تنمحي على مرّ الأيام والسنين، وهي لذلك أقدر على ربط الأجيال المتعاقبة بتراثها. فالحديث الشفهي (الرواية) قد يتناقل لفترة من الزمن، ولكن من المحتمل جدا أن ينساه الناس وهم يتناقلونه من جيل إلى جيل. ولعل الشعر العربي القديم خير شاهد على ذلك. فقد ظل يروى شفاها مدة طويلة، وعندما دوّن كتابة كان الناس قد نسوا أكثره، أما ما دوّن منه فقد ظل باقيا إلى يومنا هذا.

والكتابة أكثر أمانة على النص من الحديث. فإذا استثنينا النصوص الدينية لما لها من منزلة مقدسة في النفوس، فإننا لا نضمن نقل نص شفاها

---

(١) يقدم الأستاذ المرجونسون تاريخاً لمعرفة الإنسان الكتابة، ومراحل تطورها، ودورها في ربط الإنسان بماضيه ونشأة المكتبات في كتابه:

E. E. Johnson, Communicaton, and Intoduction to the History of Writing. Printing Books and Libraries, 4 th ed. Metuchen (1973).

كما قاله صاحبه تماماً. أما إذا كان نص الحديث مدونا كتابة فلا مجال للتشكك في أمانته. والكتابة تتيح للإنسان أن يتصل بعدد من الناس أكبر بكثير مما يتيحه الحديث. فالخطيب، مثلا، يصل حديثه إلى مستمعيه فقط وهم محدودون عددا. أما إذا كان حديثه مكتوبا فإنه يصل إلى كل من يقرؤه في وقته، ويقرؤه من يأتي بعده. وهكذا تتفوق الكتابة على الحديث.

ولكن الحديث يتفوق على الكتابة في عدة نواح؛ فالكتابة أصعب من الحديث وليس أدل على ذلك من أن الطفل يتحدث اللغة منذ وقت مبكر في حياته، ويتأخر تعلمه للكتابة عدة سنوات قد تصل إلى عشر سنوات ليتمكن من استخدامها وسيلة للاتصال مع الآخرين. والحديث عملية سريعة في حين أن الكتابة عملية بطيئة تستغرق وقتا وجهدا أكبر بكثير مما يستغرقه الحديث. والكتابة عملية باردة في معظمها إذ تنقصها الحيوية والدفء اللذان نحسهما في الحديث. وتبقى مسألة قدرة أيهما على التعبير الأقوى محل المفاضلة والتساؤل. ولكن من المؤكد أن الكتابة تحتاج إلى وقت وجهد أكثر مما يحتاجه الحديث.

وتنبه الباحثون إلى صعوبة الكتابة، وأرجعوا هذه الصعوبة إلى سببين رئيسين: الأول يتعلق بمفهوم الكتابة، وهو أنها تعدّ رمزا للرمز في حين أن الحديث يعدّ رمزاً واحداً. فاللغة في أساسها وطبيعتها منطوقة «ترمز» الألفاظ لمعطيات حسية ومعنوية مثل كلمة «رداء» وكلمة «حب». أما في الكتابة فكلمة «رداء» المكتوبة إنما ترمز لكلمة «رداء» المنطوقة التي هي بدورها رمز للشيء الحسي الذي نعرفه عن الرداء في الطبيعة وعندما تستقبل الأذن كلمة «رداء» وتحولها للمخ فإنه يعيدها إلى مدلولها الحسي. أما حين تستقبل العين كلمة «رداء» المكتوبة فإنها تحولها أيضا إلى المخ الذي يقوم ـ أولاً ـ بالربط بين رسم

الكلمة على الورقة والكلمة المنطوقة، فإذا تطابقتا فإنه يقوم ـ ثانياً ـ بإعادتها إلى مدلولها الحسي. وبهذه الطريقة يكون المخ قد قام بعمليتين بدلا من عملية واحدة، وتبدو هذه العملية أكثر وضوحاً عند الأشخاص الذين يقرؤون بصوت ظاهر(١).

والسبب الثاني ـ وهو الأهم ـ يعود إلى اختلاف طبيعة اللغة التي نستخدمها في الكتابة عن اللغة التي نستخدمها في الحديث اختلافاً بيناً. وقد دعا هذا الاختلاف، بين لغة الكتابة ولغة الحديث، الباحثين إلى التمييز بينهما وبين لغة التفكير(٢). وهذا الاختلاف يفسر بوضوح صعوبة الكتابة. ومن الأفضل أن نبدأ بلغة الحديث.

إنك إذا استمعت إلى شخصين يتحادثان تلاحظ أن اللغة في حديثهما تميل إلى الإيجاز وقلة الألفاظ. لو أن طالبين ينتظران حضور الأستاذ إلى المحاضرة يكتفي بأن يقول أحدهما «قادم»، ويفهم الآخر أن محدثه يقصد «الأستاذ فلان». إذا سأل أحدهما الآخر «هل ستسافر غدا إلى بلدتك؟» فالإجابة تختصر دائماً إلى «لا» أو «نعم»، ولا يقول المجيب: «لا، لن أسافر إلى بلدتي غدا» أو «نعم، سوف أسافر إلى بلدتي غدا إن شاء الله». السبب وراء هذا الإيجاز يعود إلى الموقف المشترك بين المتحادثين كل منهما يعرف عما يتحدث الآخر، ولذلك لا يحتاجان إلى ذكر موضوع الحديث. وقد يصل اختصار اللغة إلى الاكتفاء بكلمة واحدة للتعبير عن فكرة كاملة. يعلق أحدهما على رأي الآخر بكلمة واحدة مثل «طيب»، ويفهم الآخر المقصود بهذا التعليق

(١) L. S. Vygotsky, Thought and Language, Engl. trans. Cambridge, Mass (1962). 98 - 100.

(٢) المرجع السابق، ١٣٨ ـ ١٤٨ بالإضافة إلى: On Human Communion, 122 - 123

المكوّن من كلمة واحدة عامة غير محددة، فهو يفهم إذا كانت تعنى: «بالتأكيد، أن ما تقوله سليم وأنا أوافقك عليه». أو إذا كانت تعنى: «لا بأس، قد أوافقك على ما تقول ولكن لي تحفظات»، أو تعنى: «أتحداك، وانتظر لترى ما أنا فاعل». والسبب يرجع إلى أن القائل يحدد المقصود بهذه اللفظة الواحدة بنظرة تَقَبُّل من عينيه، أو هزة تردُّدٍ من كتفيه، أو إشارة تَحدٍّ من يديه.

وهكذا يمكن لهذه الكلمة الواحدة أن تعطي أكثر من دلالة كاملة بذاتها بمساعدة الإشارات المصاحبة لها بالإضافة إلى نبرة الصوت. أضف إلى هذا أن لغة الحديث لا تحتاج إلى قدر كبير من التأمل والتدبر لما يقال. فالحديث في معظمه يمثل سلسلة من ردود الفعل في صورة وسؤال وجواب وحوار حول مسألة من المسائل. ولهذا نلاحظ أن المتحادثين لا يلتزمان في الغالب بقواعد اللغة السليمة أو النطق السليم للألفاظ.

ولو سجلنا حديثا بين شخصين على ورقة كما نطقا به لدهشنا لطريقة نطقهما للكلمات، وندهش لخروجهما عن قواعد اللغة وتراكيب الجملة الصحيحة. ومع ذلك يتم الاتصال بينهما، ويفهم كل منهما الآخر. وهناك عوامل أخرى مساعدة لإتمام الاتصال عن طريق الحديث مثل التقارب في المستوى الثقافي والبيئي والجو المحيط بالجلسة مثل المظهر الجسماني، وتقارب المقاعد وطريقة ترتيبها وحركات الجسم... إلخ[1]. وهكذا نرى أن لغة الحديث تتسم بأنها مختصرة موجزة، وغير محددة، ولا تحتاج إلى قدر كبير من التدبر، ولا تلتزم بقواعد النطق أو صحة التركيب، وكل ذلك راجع إلى العوامل المساعدة والمكملة لإتمام الاتصال بين المتحادثين.

---

(١) يقدم الأستاذ روزنفيلد I. B. Rosenfield بحثاً قيماً عن تأثير هذه العوامل المساعدة في الحديث. وقد ورد هذا البحث في: C. L. Applaum, Speech Communion, New York (1975). 173 - 190

أما حين يفكر الإنسان مع نفسه فهو، في الواقع، يحادثها في لغة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ولكن لغة التفكير تتميز بعدة سمات أيضا، فهي تتميز أولاً: بالاختصار إلى أقل حد للغة. فالإنسان يعرف تماماً ـ وهو يفكر ـ فيمَ يفكر ولا مجال للبس أو الغموض، ومن ثم يسقط موضوع الحديث (المبتدأ أو الفاعل) وكل الألفاظ المتعلقة به، ويقصر ألفاظه على الأخبار فقط.

عندما يفكر في أخيه العائد من الخارج، فإنه لا يقول لنفسه مثلا: «إن أخي الأكبر سيحضر غدا ـ إن شاء الله ـ من الخارج»، بل يكتفي بقوله لنفسه: «سيحضر غدا». وبذلك يكون قد أسقط ثلاثة أمور: موضوع الحديث وما يتعلق به « أخي الأكبر، من الخارج» لأنه يعرف تماما، ولا مجال لسوء الفهم أو القصد فيمن يفكر، والتوكيد (إنَّ) لأنه يعرف تماما الموقف الذي يجعل حضور أخيه شبه مؤكد، والثالث «إن شاء الله» لأن إيمانه الدفين والسياق الذي يفكر فيه (زمن المستقبل) جعلاه لا يقولها لنفسه بل يحس بها ولا يرددها.

السمة الثانية المميزة للغة التفكير هي العمومية، فالإنسان لا يتوقف مع نفسه ليحدد ألفاظه وما يعنيه بها تماما. حين يصف شخصا بأنه «كريم» أو «سيء» أو «جميل» فإنه لا يتوقف ليحدد دلالات هذه الألفاظ، ذلك لأنه يحس في داخله بما يعنيه بكل منها، ولا يحتاج إلى عوامل مساعدة (إشارات اليدين أو نظرات العينين ... إلخ) لتحدد المقصود من هذه الكلمات المتسمة بالعمومية.

وأما السمة الثالثة للغة التفكير فهي عدم التمسك بقواعد اللغة. حينما يستعيد الإنسان صورة «الطفل الذي كسر ذراعه وهو يلعب بالكرة في الشارع» فإنه لا يبحث عن كل عنصر لغوي في هذه الصورة ليضعه في مكانه المناسب،

فيأتي بكلمة «الطفل» ثم «كسر» وهكذا، وإنما يأتي بالصورة كلها مرة واحدة بصورة عامة غير محددة، هي أشبه ما تكون بالصورة الضبابية. وهي تشبه عمل المصور أكثر من شبهها بعمل الرسام. فالرسام حين يرسم منظراً طبيعياً فإنه يكوّن الوحدات الجزئية المكونة لكلٍّ، يرسم الزهرة ورقة ورقة ثم يرسم الغصن والأوراق وهكذا. أما المصور فإنه يأخذ صورة للزهرة كلها مرة واحدة دون تبين لأجزائها المفصلة. ولغة التفكير تشبه الصورة الفوتوغرافية. والإنسان لا يلتفت إلى ترتيب الألفاظ، أو موقع كل كلمة وما يستلزمه من إعراب، وهل يحسن لفظة على أخرى لسبب نحوي أو بلاغي، وإنما يسيطر الإحساس بقيمة الألفاظ إلى الدرجة التي تجعله يطغى على دلالة الألفاظ وقواعد اللغة النحوية والبلاغية.

ونصل إلى لغة الكتابة ونتساءل: هل اللغة التي تدور في أذهاننا ونحن نفكر، أو التي تجري على ألسنتنا ونحن نتحدث، تنطلق مباشرة لنضعها على الورق؟ لاشك في أن كل من أمسك بالقلم وكتب سيجيب بالنفي. وحتى نظفر بمزيد من الإيضاح نذكر ظاهرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية الكتابة، ولا تحدث عندما نتحدث أو نفكر مع أنفسنا، وتتمثل في المسودات التي نكتبها أكثر من مرة قبل أن نصل إلى الصورة النهائية للتعبير عن أفكارنا، فماذا تعني هذه الظاهرة؟ ولماذا لا نكتب مباشرة دون الحاجة إلى مسودات؟ ويتصل بظاهرة المسودات ظاهرة أخرى ترتبط بالكتابة أيضا على وجه الخصوص. وهي أننا نعمد دائماً إلى وضع إطار أو خطة للموضوع قبل البدء في الكتابة، فماذا يعني وضع الإطار إلى جانب المسودات عند الكتابة؟ إن وضع الإطار وتعدد المسودات ما هي إلا عملية تحويل لغة الفكر إلى لغة كتابة. وهي عملية ليست بالسهلة كما قد يتبادر إلى أذهاننا. إنها عملية يقوم فيها الإنسان

بتحويل لغة التفكير الموجزة ـ غير المحددة، غير المرتبة، غير الملتزمة بقواعد اللغة النحوية والبلاغية، غير المترابطة ـ إلى لغة كاملة في أفضل صورة لها.

إننا حين نكتب نخاطب إنسانا غائبا عنا، ومجهولا لنا. ومن ثَمَّ لا يعرف شيئا عن الموضوع الذي نخاطبه عنه. وهو يختلف عنا في الإحساس بالألفاظ، ثم هو ليس أمامنا ليرى إشارات اليدين، أو تعبيرات الوجه، أو ليسمع نبرات الصوت ارتفاعا وانخفاضا، وشدة وهمسا. وهكذا تصبح اللغة الوسيلة الوحيدة للاتصال بين الكاتب والقارئ يعتمد عليها الكاتب كلية لنقل أفكاره إلى القارئ القريب منه والبعيد عنه. ويتطلب هذا أن يستخدم الكاتب اللغة في أكمل صورة لها رسما ودلالة وتركيبا.

وبهذا يمكن أن نتبين أوجه القصور التي تصيب كتاباتنا في كثير من الأحيان. وهي ترجع في مجملها إلى عدم التمييز بين طبيعة الحديث وطبيعة التفكير وطبيعة الكتابة.

فمن ناحية، هناك الموقف المشترك بين المتحادثين وتطابقه في التفكير، مما يجعلهما يعرفان الهدف من وراء الحديث ولا يحتاج إليه الإنسان عندما يفكر لأنه يعرف تماما فيم يفكر. أما في الكتابة فلا يوجد هذا الموقف المشترك بين الكاتب والقارئ، ومن ثَمَّ، يحتاج الكاتب إلى تحديد هدفه مما يكتب بكل وضوح وتحديد. يجب أن يعرف الكاتب لماذا هو يكتب هذا؟ ماذا يريد توصيله إلى القارئ؟ أهو يصف له شيئا رآه؟ أم أنه يهدف إلى توضيح مسألة للقارئ؟ أم أنه يهدف إلى تحليل قضية للقارئ، وبيان عناصرها، ودور كل عنصر فيها؟ أم أنه يهدف إلى حكاية حدثٍ وقع ولا يعرفه القارئ؟ هذه الأهداف يجب أن تكون واضحة في ذهن الكاتب حتى يستطيع صوغ الرسالة المكتوبة بحيث تجسد الهدف في ذهن القارئ.

ومن ناحية ثانية، يأتي دور اللغة في صوغ الهدف وتوصيله إلى القارئ بصورة قوية مؤثرة. ولقد رأينا أن الكاتب يعتمد كلية على اللغة وسيلة لنقل أفكاره إلى القارئ. وهنا يجب أن يفرق الكاتب بين اللغة التي يفكر بها واللغة التي يكتب بها. إذا كان الإنسان لا يفكر في ألفاظ مكتوبة فإنه مطالب بالحفاظ على الرسم الصحيح للألفاظ عندما يكتبها، وإذا كانت الألفاظ تميل إلى العمومية في التفكير ويغلب عليها الإحساس فلابد من تحديد دلالتها المقصودة عند الكتابة بالإضافة إلى صحة اشتقاقها وسلامتها. وإذا كانت الجملة في لغة الحديث تميل إلى الإيجاز والقِصَر وعدم التقيُّد بقواعد اللغة فإنَّ على الكاتب أن يلتزم بنظامها المتعارف عليه وأن يجعلها واضحة لا لبس فيها ولا غموض بحيث يخرج القارئ بالمعنى الذي قصده الكاتب منها دون زيادة ولا نقصان ولا تحوير ولا تأويل. فليس أمام الكاتب فرصة للتوضيح أو إعادة التحديد لما عناه بهذه الجملة أو تلك. وهذا يفسر المسودات التي نكتبها قبل الخروج بصورة نهائية لما نكتب، فهي تمثل محاولة الكاتب مراجعة الألفاظ يصحح رسمها، ويحدد دلالتها ويتأكد من صحتها وسلامتها، ومراجعة الجمل ليضيف إليها توضيحا، ويتأكد من سلامتها النحوية واللغوية، ويزيل ما فيها من لبس.

ومن ناحية ثالثة، إذا كان الحديث يعتمد ـ إلى حد كبير ـ على اللقاء المباشر وما يصاحبه من مؤثرات مساعدة تساعد على إقناع السامع والتأثير عليه، وإذا كان الإنسان لا يتوقف بينه وبين نفسه ليرتب أفكاره، أو يزيدها توضيحا وتفصيلا ليقنع نفسه بما توصل إليه من نتائج، فإن القارئ بعيد عن هذه المؤثرات وهو يختلف عنّا في الإحساس بالموقف ـ وأعصابه هادئة ـ ومن ثمّ يحتاج إلى جهد حتى يقتنع بما يقرأ. وهو ليس مستعدا للاقتناع بمجرد قراءة عدد من الجمل المقتضبة المتناثرة، ثم إنه ليس مستعدا لتقبل أحكام

إنسان آخر والتسليم بها دون تردد وما الذي يدعوه إلى ذلك؟ ويحتاج الكاتب إلى تأييد حكمه العام حول أيّ قضية يعرضها بقدر كاف من التفصيل والتمثيل يمكن أن يقنع القارئ، كما أنه يحتاج إلى ترتيب أفكاره ووضعها في تسلسل منطقي واضح يساعد القارئ على الانتقال من فكرة إلى فكرة دون صعوبة أو انقطاع في خط التفكير وربما كان هذا هو السبب وراء وضع الإطار أو الخطة لما نريد وصفه أو سرده أو توضيحه أو تحليله قبل البدء في الكتابة. فالإطار أو الخطة إنما يمثلان محاولة الكاتب حصر أفكاره وتحديدها، وترتيبها الترتيب المنطقي، ثم التأكد من سلامة المناقشة المقنعة بالأحكام العامة التي يسوقها إلى القارئ.

والفصول التالية تعرض محاولة لإرشاد الكاتب المبتدئ إلى الكتابة السليمة في لغتها، والمقنعة المؤثرة في طريقة عرضها. فإذا تمكن الكاتب من هذه النقاط في أول الطريق أصبحت الكتابة أمامه عملية سهلة. وقد يكون من المناسب أن نختم هذا الفصل بملحوظة على جانب كبير من الأهمية، ويحسن أن يضعها كل كاتب في ذهنه كلما أمسك بالقلم وأراد أن يوجه رسالة مكتوبة إلى القارئ: إذا انصرف القارئ عن القراءة، أو لم يقتنع بما قرأ فالكاتب هو الملوم ولا مجال لإلقاء اللوم على القارئ بدعوى أنه عاجز عن فهم ما يكتب، أو غير قادر على استيعاب الأفكار والوصول إلى النتيجة التي وصل إليها الكاتب. وإنما الأصح القول إن الكاتب هو الذي لم يحسن صياغة أفكاره في لغة سليمة وواضحة ومحددة وإنه لم يؤيد أحكامه بالبراهين الكافية، وإنه لم يراع في عرضها الترتيب المنطقي السلس.

وثَمَّة ملحوظة أخرى لا تقل أهمية عن السابقة هي أنه إذا لم يستطع الكاتب توصيل أفكاره إلى القارئ بطريقة تؤثر فيه وتقنعه فإن الكاتب هو

الخاسر وليس القارئ. إذا لم يستطع الطالب إقناع أستاذه بما يكتب فهو الذي يخسر وليس الأستاذ، وإذا لم يستطع الواعظ التأثير فيمن يتحدث إليهم فهو الخاسر لأنهم سينفضُّون من حوله، وكذلك الصحفي والمفكر والأستاذ وكل من أراد أن يكتب ويوجه رسالة إلى غيره من القراء.

ولقد أعطانا الله ـ سبحانه وتعالى ـ المثل الأعلى في كتابه الكريم وفي شخص رسوله الكريم ﷺ. فكان كتاب الله المثال الأعلى المعجز في صياغته اللغوية ووضوح بيانه المقنع والمؤثر في كل من استمع إلى تلاوته أو قرأ آياته. وكان الرسول الكريم مثالا في استخدام اللغة ومثالا في البيان المقنع المؤثر. ولا ننسى أن القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم هما أساس دين شامل لكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية في ماديَّتها وروحانيَّتها وما فيها من تداخلات وتناقضات وأحكام. ومع ذلك وصلت الرسالة إلى أعماق أناس بسطاء فآمنوا بها وبأحكامها دون لبس أو غموض، وكانت استجابتهم بالإيمان الصادق بالوحدانية والعمل بتعاليم الله وسنة رسوله الكريم. وينبغي أن يكون هذا هدف كل كاتب وأسلوبه في كل ما يكتب.

وتبقي كلمة؛ إن الكتابة في أساسها موهبة سواء أكانت كتابة أدبية أم علمية. ولكل كاتب أسلوبه المتميز، وشخصيته الفردية في تخير لغته وطريقة عرضه. ولا تعنى الأصول والقواعد التي نعرض لها في الصفحات التالية، إلغاء الموهبة، والالتزام الصارم بها، بل تهدف إلى إرشاد الكاتب نحو القواعد الأساسية للكتابة الهادفة الموثرة ثم تترك المجال بعد ذلك لإبراز الموهبة الفردية والتميز الإبداعي.

obeikandl.com

الفصل الثاني

اللفظة

● الدقة في اختيار اللفظة ● الدقة في تحديد اللفظة

● تحري اللفظة الصحيحة ● المعاجم وتنمية اللغة

الألفاظ هي اللبنات الأولى في عملية التعبير عن الفكر. وإذا لم تكن هذه الألفاظ مناسبة لهدفها فإن تعبيرنا وتفكيرنا أيضا يصبحان مثل البناء المتهاوي القائم على لبنات ضعيفة أو غير مناسبة له. ولذلك فالإنسان الذي لا يسيطر على ألفاظ اللغة، ولا يحسن استخدامها لا يستطيع ـ بالتأكيد ـ أن يسيطر على أفكاره ولا يحسن التعبير عنها. الألفاظ إذاً عنصر مهم في حسن الإنشاء إلى الدرجة التي جعلت أحد الكتاب يعرِّف الإنشاء الجيد بأنه « القدرة على وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب». وقد نلحظ قصور هذه العبارة وإغفالها جوانب كثيرة، إلا أننا لا نستطيع إهمال أهمية الألفاظ في الإنشاء كما تؤكدها هذه العبارة. والآن يحسن بنا أن نعرف ـ في إيجاز ـ كيف تؤدي الكلمة وظيفتها قبل أن نعرض لشروط الألفاظ المؤدية إلى جودة التفكير، ومن ثمّ جودة الإنشاء. من خلال عوامل ثلاثة:

الأول: أن الألفاظ هي رموز للأشياء التي نراها، أو نحسها، أو نسمعها، أو نلمسها، أو نشمها، أو نتذوقها، أو نفعلها، وهي أيضا رموز للتجارب الإنسانية التي نمر بها. هذا يعني أن الألفاظ لا توجد في ذاتها، بل هي رموز لمدلولات

خارجة عنها ونحن نستعيض باللفظة عن الشيء ذاته. حينما نقول «عين» أو «سيارة» فإن هاتين اللفظتين ترمزان للأداة التي نبصر بها، وللآلة التي نركبها، وهما شيئان خارجان عن اللفظتين. الألفاظ تجعلنا نفكر في الأشياء ونستحضرها في أذهاننا وهي بعيدة عن ناظرنا. هذه المدلولات للألفاظ ليست حديثة النشأة، وإنما نشأت وتطورت منذ آلاف السنين بين أفراد الأمة الواحدة. ومن خلالها نستطيع أن نصل أنفسنا بالأزمان القديمة والأماكن البعيدة، فالكلمات تقضي على حاجزي الزمان والمكان.

الثاني: أن عدد الألفاظ في اللغة قليل بالنسبة للتجارب الإنسانية عند الأمة الناطقة بها. ولا نتخيل أن تكون هناك لفظة مستقلة لكل شيء من حولنا في الحياة ولكل تجربة إنسانية نمرّ بها. ومن هنا استخدمت اللفظة الواحدة لأكثر من دلالة، وكل هذه الدلالات مرتبطة بالدلالة الحسيَّة الأولى للفظة أو متطورة عنها. لفظة «عين» مثلا نجد أنها تعني حاسة الإبصار، بئرا، جاسوسا، عظيم القوم. وبرغم تعدد دلالات اللفظة الواحدة فإننا نستطيع أن نعرف أي هذه الدلالات للفظة هو المقصود في هذا المكان أو ذاك. وسبيلنا إلى ذلك هو أننا نوجه الانتباه إلى تركيب الكلام وسياقه. نقول «اذهب إلى العين واملأ الدلو»، «إن عيني تؤلمني»، فلان هو عينهم على أعدائهم» «فلان هو العين فيهم». ونعرف أن لفظة «عين» في الأولى تعني عين الماء، وفي الثانية تعني حاسة البصر، وفي الثالثة تعني الجاسوس، وفي الرابعة تعني كبير القوم. وهكذا ميزنا بين دلالات اللفظة عن طريق سياقها في كل جملة.

الثالث: أن الألفاظ لا تستخدم فرادى أو لذاتها. حين يفكر الإنسان ويستحضر لفظة إلى ذهنه فإنه لا يفعل هذا ثم يتوقف بحيث تظل اللفظة

عالقة في ذهنه بمفردها، وإنما يربطها بغيرها من الألفاظ لتعبر مع بعضها عن فكرة تعمل في ذهنه. لذلك نجد اللفظة مستخدمة دائماً مع غيرها في قوالب لغوية سواء كان ذلك في تفكير صامت، أو في حديث بين طرفين، أو في كتابة لغائب.

هذه العوامل الثلاثة؛ رمزية اللفظة لمدلول خارج عنها، والسياق الذي تستخدم فيه، وعدم وجودها منفردة أو مستقلة هي ما يحدد استخدام أجدادنا الأقدمين للألفاظ، وقد ورثناها عنهم حين نستخدم الألفاظ نفسها. وبذلك تبقى الصلة مستمرة بين الأجيال المتعاقبة في الأمة الواحدة، وذلك في قراءتها ودراستها لتراث السابقين. كما أن هذه العوامل تحكمنا في وقتنا الحاضر حتى نستطيع التفاهم والاتصال فيما بيننا.

وعلى قدر محافظة أهل اللغة على ثروتهم اللفظية ومدى تمكنهم من هذه العوامل الثلاثة وإحساسهم بها، تكون درجة التفاهم والاتصال بينهم عقليا ووجدانيا في الماضي والحاضر وفيما يشاء الله من مستقبل. ولقد شدد أجدادنا الأقدمون على ضرورة استخدام اللفظة المناسبة في المكان المناسب حتى يبلغ الكاتب هدفه من الكتابة، وهو التأثير في القارئ. وكثيرا ما نسمع وصف الكاتب المجيد بأنه «يحسن اختيار ألفاظه ويجيد استخدامها»، ذلك لأن ألفاظه توافر فيها عدد من الشروط الأساسية. ومن أهم شروط اللفظة الجيدة أن تكون دقيقة، ومحددة، وصحيحة.

الدقة في اختيار اللفظة

لعل السبب الأساس وراء عدم دقة الألفاظ، بحيث تدل على ما يقصده الكاتب بالضبط، يرجع إلى أمرين رئيسين: أولهما عدم قدرة الكاتب (والقارئ أيضا) على التمييز بين المترادفات اللفظية. وثانيهما عدم معرفته بسياق اللفظة المناسبة. فإذا تلافى الكاتب هذه العيبين فإن تفكيره يكون أكثر دقة وكذلك كتابته أيضا.

أ ــ التمييز بين المترادفات

الترادف ظاهرة نلحظها في معظم اللغات. وهي ألفاظ تختلف نطقا ولكنها تعطي مدلولا عاما واحداً، في اللغة الإنجليزية، مثلا، نجد هذه الألفاظ handsome, beautiful, comely. pretty، تختلف في النطق لكنها تعني «جميل أو لطيف».

وهناك أمثلة مشابهة في جميع لغات العالم. إلا أننا حين ندقق في معاني هذه الألفاظ جيدا نجد فروقا واختلافات في معنى كل لفظة منها تفرقها عن أخواتها وإن اتفقت جميعا في المعنى العام، ومن ثَمَّ يمكن أن تكون أكثر دقة في التعبير عن المعنى المقصود بالضبط. فالقاعدة اللغوية تقول بأن الأصل في اللغات أن يعبر اللفظ الواحد عن المعنى الواحد. ونظرًا إلى تشابك أمور الحياة وتقاربها إلى درجة كبيرة، فقد وضعت ألفاظ للدلالة على كل منها. ومن هنا ظهرت هذه الألفاظ التي تشترك في المعنى العام، ولكنها تختلف في جزء منه. على أية حال، هذه الألفاظ تمثل نسبة صغيرة من مجموع الألفاظ في معظم اللغات. ومن ناحية أخرى، توجد في هذه اللغات الوسائل التي تمكننا من التعرف على الفروق الدقيقة بينها مما يساعد على استخدامها بدقة أكبر.

وظاهرة الترادف اللفظي ـ على أي حال ـ شائعة في اللغة العربية ومدلولها. فقد وضعوا ألفاظا للدلالة على التجارب الإنسانية على كثرة تنوعها وتشابكها واقترابها من بعضها، ولذلك كثر ما نسميه بالمترادفات اللفظية في اللغة العربية. انظر ـ مثلاً ـ إلى هذه الألفاظ.

قد كان هذا مما أترقبه، أتوقعه، أترصده، أنتظره، أقدره، أظنه، أحتسبه، أتوهمه، أتخيله.

وانظر أيضًا إلى الألفاظ التالية:

خَافَ، فَزِعَ، خَشِيَ، وَجِلَ، فَرَقَ، رَهِبَ، وَهِلَ، ارتَاعَ، ارتَعب، إندَعر، رِيعَ، رَعَبَ، ذُعِرَ، استُطِيرَ.

من هذين المثالين نرى كثرة الألفاظ في اللغة العربية التي تشترك في دلالة واحدة كثرة قلما نجدها في اللغات الأخرى. هذه الكثرة يمكن عدها ميزة للغة العربية تفوق بها اللغات الأخرى. فالكاتب العربي لايجهد نفسه كثيرا في البحث عن اللفظة التي يريدها.

ويبقي السؤال: هل هذه الألفاظ مترادفة فعلا؟ بمعنى، هل هذه الألفاظ في المثالين المذكورين تتطابق تماما في المعنى؟ وهل نستطيع استخدام كل لفظة منها مكان الأخرى دون أدنى اختلاف في الدلالة؟ وهل مقصود الكاتب واحد في كل الجمل التالية؟

لقد بلغ به المرض مداه فأصبح يترقب الموت في كل لحظة: يتوقع الموت، يترصد الموت، يقدر، يحتسب، يتوهم، يتخيل.

والأسئلة نفسها بالنسبة للمثال الثاني، فنقول مثلا:

بينما هو يقطع الصحراء في جوف الظلام إذ رأى شبحاً قادماً نحوه فخاف منه: ففر = هرب؛ فحشي، فوجل، ففرق، فارتاع، فذعر، فاندعر، فاستطير.

مما لاشك فيه أن العرب الأقدمين كانوا يدركون الأبعاد الدقيقة التي تفرق بين هذه الألفاظ من حيث دلالتها ومناسبتها. ولعلك تستطيع ـ في الوقت الحاضر ـ أن تميز بين مدلولات الألفاظ في المثالين السابقين إلى درجة تجعلك تختار وتفاضل بينها للدلالة على المعنى الذي تقصده تماما. إلا أننا لا نستطيع معرفة هذه الفروق بين كل الألفاظ المترادفة في اللغة العربية كما استطعنا في المثالين المذكورين. فمع مضي الوقت والتفات العرب ـ بصفة عامة ـ إلى إيقاع الألفاظ وموسيقاها، ولاسيما في الشعر وما يتطلبه من قافية واحدة، تلاشت هذه الفروق، ومن ثمّ بدت هذه الألفاظ في العصور المتأخرة وكأنها متطابقة في المعنى والاستخدام.

وهذه نقطة خلاف أخرى بين اللغة العربية وكثير من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما. فلقد اعتنى أصحاب هذه اللغات بالألفاظ المترادفة. ووضعوا مؤلفات متعددة جمعوا فيها ما يسمى بالألفاظ المترادفة وبينوا الفروق الدقيقة بينها، وتوقعوا ممن يكتب في هذه اللغات أن يحافظ على المعاني الدقيقة للألفاظ. ويزيدون على ذلك مطالبة الطلاب. منذ بداية تمرنهم على الكتابة في شتى الميادين، بالانتباه إلى هذه النقطة. ولاشك أننا في حاجة ماسة لمثل هذه الأعمال والمؤلفات حتى نحافظ على ثراء لغتنا العربية. ومن ناحية أخرى، تساعد على اختيار اللفظة الدقيقة للتعبير عما نريده بوضوح، ويساعدنا على تجنب الوقوع في كثير من المشكلات الفقهية

والقانونية والسياسية، والأمثلة على ذلك كثيرة وملموسة (انظر أمثلة أوردها أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه «دلالة الألفاظ» ص ص ١٠٦ ـ ١٢١).

والمعاجم اللفظية لا تعيننا كثيرا في هذه الناحية، وإنما علينا أن ننمي قدرتنا على تحديد مدلولات الألفاظ، وبخاصة المترادفة منها، بالقراءة المتأنية في كتب التراث في المجالات المختلفة، وفي الوقت نفسه يحسن الاطلاع على محاولات بعض علمائنا الأوائل نحو تحديد معاني الألفاظ المترادفة وتبيان الفروق بينها. نذكر من هذه الكتب على سبيل المثال:

- فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.
- المخصص لابن سيده.

وننظر معا الآن في هذا الفصل المأخوذ من كتاب «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي:

فصل في تفصيل أسماء الغبار وأوصافه

النَّقعُ والعَكُوبُ: الغبار الذي يثور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل.

العَجَاج: الغبار الذي تثيره الرياح.

الرَّهجَ والقسْطَل: غبار الحرب.

العِثْيَر: غبار الأقدام.

هذا الفصل القصير مثال آخر لما يسمى بالترادف اللفظي في اللغة العربية وهو يوضح أمرين مهمين: الأول، هو نسيان كثير من الألفاظ العربية

الأصيلة (العَكُوبُ، العِثْيَرُ، القِسْطَلُ) مما أفقد اللغة قدرا من ثرائها اللفظي. وجعل عددا آخر منها غريبا ويكاد يكون مقصورا على كتابة المتخصصين. وذلك في الوقت الذي يجب أن تكون فيه هذه الألفاظ مألوفة للجميع. الأمر الثاني يتمثل في إهمالنا للفروق بين هذه الألفاظ واكتفائنا باستخدام كلمة «غُبَار» للدلالة على هذه المعاني جميعا مما أفقدنا الكثير من الدقة في التعبير عما نقصده بالضبط وأفقد التعبير قدرا من جماله. شتان بين قولك مثلا «أثارت الإبل كثيرا من الغبار»، «أثارت الحرب كثيرا من الغبار» وقولك «أثارت الإبل كثيرا من النقع»، أثارت الحرب كثيرا من الرهج» ولاشك أن الاستخدام الثاني أكثر دقة وجمالا، ومن ثمّ أكثر تأثيرا في القارئ من الاستخدام الأول. وربما تتطلب هذه الدقة في اختيار الألفاظ جهدا كبيرا لإحياء الألفاظ التي غاب أكثرها وترادفت في استعمالاتنا، ولكننا في حاجة للقيام بهذا الجهد رغم مشقته.

ب ـ سياق اللفظة المناسب

أما السبب الثاني لعدم الدقة في اختيار الألفاظ فيرجع إلى عدم استخدام اللفظة في سياقها المناسب. لقد كان علماؤنا الأوائل حريصين على استخدام اللفظة في مكانها المناسب وسياقها الصحيح. فقد قرنوا كلمات بكلمات، ولم يقرنوها لو كان المعنى واحدا، فقالوا مثلا:

وجه دميم، خلق شتيم، كلمة عوراء، فعلة شنعاء، أمر شنيع، خطب فظيع. وكلها بمعنى قبيح.

وقالوا: الصباحة في الوجه، الوضاءة في البشرة، الجمال في الأنف، الحلاوة في العينين، الملاحة في الفم، الظُّرف في اللسان، الرشاقة في القد، اللباقة في الشمائل، وكلها بمعنى جميل.

وقالوا: ريح عاصف، وبرد قارس، وحر لافح. وكلها بمعنى شديد.

وقالوا: كأس دهَاق، بحر طام، نهر طافح، وادٍ زاخر، مجلس غاص. وكلها يمعنى ممتلئ.

من هذه الأمثلة نلاحظ حرص العرب على استخدام اللفظة في سياقها الصحيح ولايخلطون بينها. وينبغي أن نحرص أيضا في الحديث والكتابة على هذه الناحية. ومن هنا قال البلغاء «إن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما» ألا ترى أن عدم استخدام الكلمة في سياقها الصحيح قد يوقع الإنسان في خطأ حسيم. نقول مثلا: «اشتريت ثوبا رخيصا» قاصدا أن الثوب لم يكلفك كثيرا. ماذا يحدث لو أننا قصدنا المعنى نفسه وقلنا مثلا «لقد كان زواجي زواجا رخيصا»؟ وهناك أمثلة كثيرة أخرى، والدقة في استخدام اللفظة في سياقها المناسب يجنبنا الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

التَّرادف ودقائق المعنى[١]

عبد الله بن سوَّار وإلحاح الذُّبَاب[٢]

كان لنا بالبَصرة قاض يقال له عبدُالله بن سَوَّار[٣]، لمْ يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زمَّيتاً ولا رَكيناً[٤]، ولا وقوراً حليماً، ضبَط من نفسه وملَك من حركته

(١) غازي براكس، فن الكتابة الصحيحة ص, ٧٣

(٢) الجاحظ: الحيوان ٣ / ٣٤٣ .

(٣) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبدالله بن قدامة العنبري البصري. وسبقت ترجمته ولده سوار ابن عبدالله بن سوار في ٢ : ١٨٧, والقصة رواها المرتضى في أماليه ٤ : ٢٢ .

(٤) كلمة : «قط» ساقطة من ل، كما سقطت «ولا» من ط، س . والزميت كسكيت: العظيم الوقار. والركين الرزين.

مـثلَ الـذي ضـبَط وملَك. كـان يصلَّى الغـداة في منـزله، وهو قـريب الدَّار من مسجده، فيأتى مجلسه فيحتبى ولا يتَّكي، فلا يزالُ منتصباً لا يتحرَّك له عضوٌ، ولا يلتفت، ولا يحلُّ حُبْوَته[١] ولا يحوِّل رجلاً عن رجل[٢]، ولا يَعتمد على أحد شقَّيه، حَتَّى كأنّه بناءٌ مبنيٌّ، أو صخرةُ منصوبة. فلا يزال كذلك، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك[٣] حتى يقوم إلى العصر، ثمَّ يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب، ثمَّ رُبما عاد إلى محلّه، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقي عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق، ثمَّ يُصلِّي العشاء (الأخيرة[٤]) وينصَرف.

فالحق يقال: لَمْ يقمْ في طول تلك المدَّةِ والولايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء، ولا احتاجَ إليه، ولا شربَ ماءً ولا غيرهَ من الشّراب. كذلك كان شأنُه فى طوال الأيام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها[٥]. وكان مع ذلك لا يحرِّك يدهَ، ولا يُشيرُ برأسه. وليس إلاّ أن يتكلَم (ثمَّ يوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة[٦]). فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السِّماطين[٧] بينَ يديه. إذْ سقطَ على أنفه ذبَابٌ فأطال المكث، ثم تحوّل إلى مُؤقِ عينه[٨]، فرام[٩] الصبَّر في سقوطه عَلَى المؤق، وعلى عضِّه ونفاذ خرطومه

(١) الحبوة، بالفتح وتضم: أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(٢) ط، س: «ولا يحل رجلا على رجل» وأثبت مافي ل وثمار القلوب ,٣٩٦

(٣) الكلام من مبدأ «حتى يقوم » ساقط من ل ، والثمار..

(٤) الزيادة من ثمار القاوب. والعشاء الأخيرة خلاف الأولى، والأولى هي المغرب.

(٥) كلمة: «فى» ساقطة من ل في الموضعين.

(٦) الزيادة من ل، وثمار القلوب.

(٧) السماط ، بالكسر : الصف.

(٨) في الأصل: «عينيه» وأثبت مافي الثمار، والمؤق: طرف العين مما يل الأنف.

(٩) ل فقط: «قدام»، وبكل من العبارتين يتجه المعنى.

كما رَام[١] من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفه من غير أن يحرِّك أرنبَته، أو يغضِّنَ[٢] وجهَهُ، أو يذبّ بإصبعه.

فلمَّا طال ذلك عليه من الذبَاب وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ، وقصدَ إلى مكانٍ لا يحتمل التّغافُلَ، أطبَق جفنَهُ الأعلى عَلَى جفنه الأسفلِ فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن وَالىَ[٣] بينَ الإطباقِ والفتْح، فتنحَّى ريثمَا سكنَ جفنُهُ، ثمَّ عاد إلى مؤقه بأشدَّ من مرَّته الأولى فَغَمَسَ خرطومهُ في مكان كان قد أوهاه قبلَ ذلك، فكان احتماله له أضعف، وعجزُه عن الصبَّر في الثانية أقوى[٤]، فحرَّك أجفانَهُ وزاد في شدَّة الحركة وفي فتح العين[٥]، وفي تتابُع الفتح والإطباق، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ما سكَنَتْ حركتَهُ ثمَّ عاد إلى موضعه، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَه وبَلغَ مجهُوده. فلم يجدْ بُدّاًمن أن يذبَّ عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمُقه، وكأنّهم لا يَرَوْنَه[٦]، فتَنحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه، ثمَّ ألجأه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه، ثم ألجَأه إلى أنْ تابَعَ بين ذلك، وعلم أنَّ فعلَه كلّه بعين مَنْ حَضَره من أمنائه وجلسائه.

فلمَّا نظروا إليه قال: أشهد أنَّ الذّباب ألَحُّ[٧] من الخنفساء، وأزهى من الغراب! وأستَغفر الله! فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسهُ فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرِّفه

---

(١) ل فقط: «ودام» وانظر التنبيه السابق.

(٢) غضن وجهه: جعل به غضوناً، وذلك بأن يقبض جلده. ط، س: «يغض» بمعني يخفض. وفي الثمار: «بعض».

(٣) والي: تابع. ط، س: «يوالي» وأثبت مافي ل والثمار.

(٤) ط، س: «وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل» وصوابه في ل. ونحو منه مافى الثمار.

(٥) ط، س: «وألح فى فتح العين».

(٦) كلمة: «إليه» ليست في الثمار. وليس ما يمنع بقاءها. و «يرونه» هي في الأصل «يريدونه»، وتصحيحه من الثمار.

(٧) كذا في الأصل : «الح» بالحاء كما في أمثال الميداني ٢ / ١٨٠ ، ويروى بالجيم، كما في الثمار وكما سياتي في ص٥٠٠ .

من ضعْفِه ما كان عنهُ مستوراً! وقد علمت أنّي عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس[١]، فقد غَلبَنى وفَضَحَنى أضعفُ خلْقِه! ثمَّ تلا قولَهُ تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

لو تبصّرْتَ في المُفْرداتِ التي استخدَمها أبو عثمان الجاحظ (نحو ٧٧٥ ـ ٨٦٨م) في هذا النصّ، لَرأيْتها دقيقةً معانيها، مُصيبةً أهدافَها، تغلبُ الواقعيةُ عليها. وهو لا يُداورُ في تعبيره، بل يقصدُ مُرَادَه مباشرة.

ولا يَخْدَعَنَّكَ أحياناً تَرادُفُ الكلمات، فليس من لفظةٍ سِيقَتْ نافلةً، بل لكلٍّ منها مدلولُها الخاصّ[٢].

وإليكَ أمثْلةً على ذلك:

أ ــ في الأفعال:

قال يَصفُ القاضي: «ضَبطَ من نفسه، ومَلَكَ من حركته». فالفعلُ الأول يعني حَبْسَ الشيءِ ومَنْعَه من الحُرّية؛ والمقصودُ، هنا ضَبْطُ انفعالاتِ النفسِ وهيَجانها. أمّا فِعْلُ «مَلَكَ» ـ وقد خصّ به حركاتِ القاضي ـ فيعني القدرة على التصرُّف والاستبداد بالشيء، سَلْباً أو إيجاباً، أي إنّه يزيدُ معنى الإطلاق على معنى الحَبْس.

وقال: «فيأتي مجلسَه فيحتبي». و «احتبى» يعني: «جَلَس على أَلْيَيْهِ، وضمَّ فَخِذَيْهِ وساقَيْه إلى بطنِه بذراعَيْهِ ليستند». فانظُرْ إلى هذا المعنى الواقعيّ الدقيق يُعَبَّرُ عنه بلفظةٍ واحدة.

---

(١) أزمت الناس: أى أشدهم وقاراً وسكونا. ط: «أضعف» ووجهه في س، ل. وفى الثمار: «أرزن»، وكلمة «الناس» الأولى هي في ط، س فقط: «نفس». كما أن كلمة «من» ساقطة من س.

(٢) غازي براكس، فن الكتابة الصحيحة.

وقال: «أويُغَضِّنُ وجهَه، أو يذُبُّ بإصبعه». وتغضينُ الوجه هو تَثْنِيَتُه وتجعيدُه مع تشنيجه. والذَّب عن الشيء هو الدفاع عنه بِطَرْد مُهاجِمٍ مُؤذ. ولذا تقول: «الشَّهْمُ يَذُب عن عِرْضه وعن وطنه».

وقال: «فغَمَس خُرطومَه في مكان..» فانظُرْ إلى هذا الفعل الذي يعني «أدْخَلَ»، ولكنه خُصِّصَ أصلاً للغَطّ في السائل. تقول: «غَمَسْتُ اللقمةَ في الإدام». والذُّبابُ يُدخلُ خُرطومَه فى الجسم كمنَ يَغْمسُ فَمَه في إدام.

وقال الجاحظ: «... في مكانٍ كان قد أوهاه قبل ذلك»، ولم يَقُلْ «أوْهَنَه»؛ لأنَّ الفعْلَ الأخير يعني «أضْعَفَه»، بينما يعني الفعلُ الأوَّلُ: «أضعفَه وأبلاه حتى جعله يسترخي ويَهُمُّ بالسقوط». وهذه المبالغة في المدلول هي التي قَصدَها الكاتبُ مَدْرجَة لإعلانهِ تَعاظُمَ عَجْزِ القاضي عن الصبر.

وقال: «فما زال يُلِحُّ عليه حتى استفرغَ صَبْرَه» أي بَذَلَه كلَّه واستقصاه. لكنه عقَّبَ بقوله: «وبلغَ مجهودَه» أي وَصَلَ إلى أقصى ما تتحمَّل طاقتُه.

وقال: «وعيونُ القوم إليه، ترمُقُه». و «رَمَقَ» لايدلُّ على النظر فقط، بل على إطالته أيضاً، وتسديده بمجامع العين.

ب ــ في الأسماء:

لابُدَّ من أن يستوقفَكَ عددٌ منها:

ـ «في السّماطَيْن»: أي الصَّفّيْن. والسِّماطُ أو السِّمْطُ هو الخَيْطُ ما دام الخَرَزُ أو اللؤلُؤ منتظماً فيه. فمعنى الانتظام ألْصَقُ به من «الصَّفّ»، لأنَّ الكلمة الأخيرة لا توحي، مثلما توحي الأولى، بأنَّ الناسَ كأنّهم منخرطون في سِلْكٍ واحد.

ـ «أطالَ المُكْثَ»: وهو مصدر «مَكَثَ» أي أقام ولَبِثَ دونما عَجلة. وهذا المدلول لا تُؤَديه لفظة «الإقامة» لو استخدمها الكاتب، ولا «اللُّبْث»، لأنَّ «اللُّبْثة» تُفيد التوقُّفَ اليسير.

ـ «مُؤْقُ عينه»: أي مجرى الدمع من العين، وهو يكونُ من طَرفها مما يلي الأنف.

ـ «خُرطومه»: وهو للبعوض بمنزلة الفم للإنسان، وقد يكون شبيهاً، شكلاً، بخُرطومِ الفيل[1].

ـ «أرْنَبَتُه»: أي طرف أنفِه.

ـ التغافلُ»: أي التظاهر بالغَفْلة.

ج ـ في الصِّفات:

حَسْبُنا دلالة منها قوله في بداية النصّ: «لم يَرَ الناسُ حاكماً زمّيتاً، ولا ركيناً، ولا وَقوراً حليماً». وقد يتبادُر إلى ذهنكَ، أوَّل وَهْلة، أنَّ الصفات الأولى الثلاثَ متماثلةٌ في المعنى، لكنَّ الواقع غير ذلك. فالزِّميتُ هو الرزينُ القليلُ الكلام[2]، والرَّكينُ هو الرّزينُ الساكنُ الثابتُ كأنّما هو رُكْنٌ، والوَقورُ هو الرزينُ المالكُ لحركاته، الراجحُ في عقله؛ والرجاحةُ تلمسُها في المعنى الواقعي للفِعْل في قولك، مثلاً: «أوْقَرتِ النخلةُ» أي كَثُرَ حملُها.

هكذا ترى أنَّ الكاتب البارعَ يعرف كيف يختارُ المُفْرداتِ التي تؤَدّي له المعنى، على الوجهِ الأفضل، ويستخدم كُلاّ منها بمدلولٍ دقيق، فلا تتشابَهُ المعاني، ولا تتكرَّرُ دونما فائدة.

---

(١) انظر «لسان العرب» لابن منظور: مادة «خرطم». وبالمعنى نفسه يُقال: خَطمُ السبع، ومنقار الطائر، وفِنْطية الخنزير، وجحافل ذوات الحافر.

(٢) لكلمة «زميَّت» معنى آخر هو المُتَشَدِّد في دينه أو رأيه. ومنه «التزمُّتُ الطائفي».

دَقائقُ المعَاني

مَنْ ينظرُ في كُتُبِ اللغةِ والمعاجمِ القديمة، مثل «المُخَصّص» لعلي بن سيده (١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م)، ولا سيما السِّفْر السابع منه المُسَمَّى «كتاب الإبلِ»، والمزْهَر» لجلال الدين السُّيوطي (توفي ١٥٠٥م)، و«القاموس» لأبي طاهر الفيروز آبادي (١٣٢٩ ـ ١٤١٤م)، وغيرها، لابُدَّ من أن تُدهشَه كثرةُ الأسماء التي تُطْلَقُ على مُسَمى مُعَيَّنٍ واحد.

فقد جمعوا أكثر من ألف لفظة للبعير، وألفاً للسَّيْف، وأربع مئة أو أكثر للداهية، وخمس مئة للأسد، ومئتين للخمر، ومئتين للحية، وثمانين للعَسَل إلخ..

وليس عسيراً على القارئ أن ينتبه، في أثناءِ مطالعاته، للكثيرِ من الألفاظ التي تُطلَقُ على مُسَمّى مُعَيَّن. فهل اللُغَةُ العربيَّةُ أتسْعَتْ، حقاً، لهذه الكثرةِ الهائلة من المترادفات؟

قال أبو علي الفارسي (توفي ٩٨٧م)، وهو أحدُ اللُغَويَين: «كنتُ بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعةٌ من أهل اللُغةِ ومنهم ابن خالَوَيْه؛ فقال ابنُ خالَوَيْه: «أحفظُ للسيف خمسين اسماً» فتبسَّمَ أبو علي وقال: «ما أحفظُ له إلا اسماً واحداً وهو السَّيف». قال ابن خالَويه: «فأين المُهَنَّد والصارم وكذا وكذا؟» فقال أبو علي: «هذه صفات»[1].

والحقُّ يُقال إنَّ بعضَ اللُغويين، قُدامى ومُعاصرين، تنبهّوا إلى أنَّ كلَّ لُغَةٍ لا تحملُ، في نشأتها، إلاّ اسماً واحداً لكل مُسَمًّى. ولكنَّ الناطقين بها يَضَعون

(١) جلال الدين السّيوطي: المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص٤٠٥ .

للأسماء صفاتٍ تحملُ فروقاً دقيقة بينها، ثم يعمدون، مع كُرورِ الزمن، إلى استخدامها مُجَرَّدةً من أسمائها، فتظهرُ لغير المُتَبَحَّرين في أسرار اللغة مُتَرادفات لاسمٍ واحد، وهي في حقيقتها، صِفات ذاتُ دلالاتٍ متنوعة.

فلو تبصَّرتَ في معاني الألفاظ التالية لَرَأيتَ لكلٍّ منها معنىً دقيقاً يختلفُ عن الآخر، لكنَّ سُوءَ الاستعمال جعلَها مُتَماثِلَةَ المعاني:

فالصارمُ هو السيفُ القاطع، والحُسامُ السيفُ القاطع المستأصلُ للشيء، والمُهَند السيفُ المطبوعُ من حديد الهند، والأبيضُ السيفُ المتألقُ الجوهر، والصمصام السيف الذي لا ينثني، والباتر السيفُ القاطعُ للأعضاء، والبتّار مبالغةٌ فيه إلخ..

والهَصور هو الأسدُ الذي يهصرُ فريستَه أي يكسرُها كَسْراً، والوَرْدُ الأسَدُ الورديُّ اللون، والخادرِ الأسدُ الملازم لخِدْرِه أي عرينه، والرئبال الأسدُ الذي يسيرُ سَيْرَ الحفاة، والضَّيْغَم الأسد الذي يعضُّ عضّاً شديداً إلخ..

وهكذا قُلْ في معظمِ ما يُسمّى «بالمترادفات».

الدقة في تحديد اللفظة

مما يساعد على وضوح التفكير، ومن ثَمَّ التعبير عنه، أن يبعد الكاتب عن استخدام الألفاظ ذات الدلالة العامة، فكلمات مثل السياسي، الفقيه، الشجرة. كلمات عامة لا تعطي مدلولا محددًا على عكس كلمات مثل الملك عبدالعزيز، ابن تيمية، شجرة البرتقال التي ترمز لمدلولات محددة. وطبيعي أنه كلما كانت الألفاظ تميل إلى العمومية كانت أكثر غموضا، وأصبحت الأفكار المرتبطة بها أكثر غموضا ومحيرة في فهم مقصود الكاتب على وجه التحديد؛ لذلك، ينبغي

على الكاتب أن يجعل ألفاظه محددة قدر الإمكان حتى لا يتردد في الحكم أو في تكوين الفكرة، كما أنه يساعد على وضوح الهدف بين الكاتب والقارئ.

إلا أن تحديد الألفاظ مسألة نسبية. فهناك أكثر من درجة لتحديد المقصود انظر إلى الألفاظ التالية تجد أنها تتدرج من العمومية إلى التحديد بدرجات متفاوتة. وينبغي أن يميز الكاتب بين هذه الدرجات من التحديد، بحيث يكون اتجاهه إلى الألفاظ المحددة حسب طبيعة مايكتب، وأن يبعد عن الألفاظ ذات الدلالة العامة قدر الإمكان:

كلمة عامة	أقل عمومية	محددة	أكثر تحديدا
نبات	شجرة	شجرة البرتقال	شجرة البرتقال في حديقتي
طعام	حلوى	مربى	مربى التفاح
الناس	العرب	أهل الجزيرة العربية	أهل جنوب الجزيرة
الأسلوب الأدبي	أسلوب طه حسين	أسلوبه في رواياته	أسلوبه في «دعاء الكروان»

هذه الألفاظ ترمز لمدلولات يمكن إدراكها بحواسنا، ومن ثَمَّ يسهل علينا تحديدها، ولكن هناك ألفاظ تدل على مفاهيم مطلقة مثل حرية، حبّ، شرّ، كراهية، ديمقراطية، صداقة... إلخ. مثل هذه الكلمات يصعب تحديدها بالطريقة نفسها التي رأيناها من قبل. وهنا ينبغي أن تصدر هذه الألفاظ عن مفاهيم واضحة في ذهن الكاتب، وأن يحاول تحديدها قدر الإمكان بحيث لا يطلقها في تعميم مضلل.

وقد يعجز بعض الكتاب عن تحديد ألفاظهم وذلك باستخدام ألفاظ عامة لا تعطي مدلولا واحدا مثل مرعب، جميل، أو رهيب، أو مدهش، أو غيرها.

هذه الكلمات لا تعين القارئ على فهم ما يقصده الكاتب تماما. ماذا يعني قولنا مثلا: «لقد كانت رحلة ممتعة قضينا فيها وقتا مدهشا»؟ ماذا فهم القارئ بالضبط من هاتين اللفظتين» ممتعة، مدهشاً»؟ ينبغي أن يذكر الكاتب ماذا يعنيه بهاتين الكلمتين على وجه التحديد كأن يذكر الأسباب التي جعلت الرحلة ممتعة، وكيف قضى الوقت حتى كان مدهشا.

لايعني هذا أن يكون الكاتب دائما محددا كلية في ألفاظه، وإنما يعتمد تحديد الكلمات على طبيعة الموضوع. فقد يعمد الكاتب أحيانا إلى درجة من التعميم حين يعالج مشكلة عامة تمس قطاعات مختلفة من الناس، أو يعالج قضية مبادئ عامة في فرع من فروع المعرفة. وأحيانا أخرى، يكون الكاتب أكثر تحديدا حين يعالج مسألة بعينها، وقد يكون من الأوفق أن يبدأ الكاتب بالتعود على استخدام الألفاظ المحددة ثم يتدرج نحو التعميم. ولاشك أن تحديد الألفاظ يتبعه تحديد الفكرة ووضوحها في ذهن الكاتب أو القارئ.

تحري اللفظة الصحيحة

لكي تكون كاتباً ناجحاً في كل ما تكتب ينبغي أن تستخدم ألفاظا صحيحة سليمة. ومن ناحية أخرى، يجب على الإنسان المتعلم أن يتذكر دوما أن اللغة ميراث يؤتمن عليه، يرثه عن الآباء ليحافظ عليه ويستخدمه في حياته، ثم يورثه لمن بعده دون تشويه ولا إفساد. وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية. فاللغة ليست ملكا خاصا لأحد يتصرف فيه كما يشاء. إنَّما هي ميراث مشترك بين الجميع، وكثير من فساد اللغة ناتج عن عدم الحفاظ على سلامة الألفاظ وصحتها. وكل لفظة مكتوبة هي عامل هدم أو عامل بناء للغة، فإذا

كانت اللفظة سليمة عاشت اللغة وازدهرت، وإذا كانت غير سليمة تقوضت اللغة أو ضعفت. وسلامة اللفظة تتطلب توافر عدة شروط فيها، لعل أهمها:

١ ــ أن تكون صحيحة الاشتقاق

لانبالغ إذا قلنا إن اللغة العربية تأتي في مقدمة لغات العالم من حيث الثراء اللفظي الذي يساعد على التعبير عن كل شيء في حياة الإنسان بدقة. ولقد ساعد على ثرائها كونها لغة اشتقاقية. فاللغة العربية تحتوي على عدد كبير من الأصول المكونة من ثلاثة جذور أو أربعة أو خمسة. من هذه الأصول يمكن أن نصوغ عدداً كبيراً من المشتقات التي تعبر عما نريده مثل صِيَغِ الماضي، والمضارع والمستقبل والأمر وأسماء المصدر، والفاعل، والمفعول والهيئة، والآلة، والتفضيل إلى آخر قائمة المشتقات. ولكل من هذه المشتقات قواعد مفصلة لسلامة صياغتها. وهي تحتاج إلى قدر من الفهم والاستيعاب إذ أنها تعتمد، في الأساس، على التغيير في بنية اللفظة وليس على الزوائد في أول الكلمة أو آخرها كما نلاحظ في اللغات الأوربية الهندية. مثلا، من الأصل «ك ت ب» نصوغ كتب، يكتب، أكتب، سيكتب، كتابة، كاتب، مكتوب، كتاب، مكتب، مكاتبة، اكتتاب...إلخ (لاحظ قدرة اللغة على تحديد مقصود الكاتب بدقة في مثل هذه الكلمات مكتوب، مكاتبة، اكتتاب).

وكثير من هذه الاشتقاقات نعرفه عن طريق الممارسة اليومية للغة كالأزمنة المختلفة للأفعال واسمي الفاعل والمفعول مثلا. وقد نستخدم المشتق دون أن نعرف اسمه الصرفي أو قاعدة اشتقاقه كمَضْرِبٌ ومَلْعَبٌ مثلا. وأحيانا كثيرة نخطئ في صياغة الاشتقاقات. من هذه الأخطاء ما يسمى بالخطأ الشائع الذي درجت الألسنة على ترديده في أكثر الأحاديث والكتابات مثل مُباع،

الرئيسية، الصدرية، سمحاء، زرقاوتان، طل على، المريرة، عنوة، فورا، والأصح أن نقول على الترتيب مبيع، الرئيسة، الصدرة، سمحة، زرقاوان، أطل على، المرة، عُنوة، من فوره، وهناك قسم آخر من الأخطاء ناتج عن الجهل باللغة، وهو كثير. لذلك يجب أن ندقق في صحة الاشتقاقات التي نستخدمها. ولقد قام علماء اللغة بوضع القواعد القياسية لصياغة المشتقات، وهي لاتصعب على من يطلع عليها. كما حاول أصحاب المعاجم اللفظية جمع مفردات اللغة وضبط صيغها وذكر معانيها. فإذا كنت غير متأكد من صحتها يجب الرجوع إلى أحد المعاجم للتأكد من سلامتها. كما يحسن إلقاء نظرة بين آن وآخر على كتاب متخصص مثل «شذا العرف في فن الصرف» للأستاذ أحمد الحملاوي.

ويتصل بهذه النقطة مسألة أخرى يقع فيها الخطأ كثيرا وهي جموع التكسير. فالقواعد التي تضبط صياغة جموع التكسير في اللغة العربية كثيرة ومتشبعة. ومن هنا نعمد إلى معرفتها عن طريق السماع والحفظ. وهذا يوقعنا في أخطاء كثيرة، فمن الأخطاء الشائعة في صياغة جموع التكسير نذكر الأمثلة الآتية:

المفرد	الجمع الشائع	الجمع الصحيح
عجلة	عجلات	عجل
مشترى	مشتروات	مشتريات
مدير	مدراء	مديرون
كفء	أكفَّاء	أكفَاء
نسمة	نسائم	نسمات

لذلك، إذا كنت غير متأكد من صحة الجمع الذي تستخدمه في حديثك أو كتابتك يحسن الرجوع إلى أحد المعاجم لتتأكد من صحته.

تذكر أنه ليس من حقنا الخروج عن الاشتقاقات الصحيحة للغة كما ورثناها. إن لم تحافظ على صحة ألفاظك كان نصيبك من سخرية القارئ القدر الكبير، وبدوتَ أمامه كالأعجمي الرَّاطن بالعربية، وتكون قد أخللت بأمانة اللغة في عنقك وهذا هو ما دعا أبا الأسود الدؤلي لأن يزهو بمعرفته اللغة العربية واشتقاقاتها السليمة حيث يقول:

وَلاَ أَقُولُ لقِدْرِ القَومِ قَد غَلِيَتْ وَلاَ أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقُ

بل يقول: غلت، ومغلق، فهما الصحيحتان.

٢ ــ أن تكون عربية

اللغة كائن حي، تعبر عن الإنسان وتصله بأخيه الإنسان. وكما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن أخيه الإنسان فكذلك اللغة لاتعيش منعزلة عن اللغات الأخرى. والأمم تتصل بعضها ببعض، وينتج عن هذا الاتصال تأثير وتأثر بدرجات متفاوتة في شتى المجالات. وخير مثال على هذا التأثير المتبادل ما حدث بين الأمتين العربية والفارسية عبر مراحل التاريخ. ولا يتسع المجال هنا للحديث عنه. هذا التأثير المتبادل بين الأمم يمس اللغة أيضا. فقد أعطت العربية لغات العالم، قديمها وحديثها، الكثير من مفرداتها. أعطت الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية، واختصت الفارسية والتركية والأوردية بالنصيب الأكبر من هذا العطاء. في الوقت نفسه، أخذت العربية عن هذه اللغات أيضا الكثير من مفرداتها منذ أقدم العصور إلى وقتنا الحاضر. ونظرة

سريعة في كتاب مثل «المعرب والدخيل» للجواليقي ترينا المفردات الكثيرة التي دخلت اللغة العربية وأصبحت جزءا من معجمها اللفظي.

إلا أن العرب الأوائل كانوا على قدر كبير من الحرص والحذر عند تقبل المفردات الدخيلة، فكانوا يخضعونها لكثير من التدقيق والتعريب حتى تتناسب مع سمات اللغة العربية. كانوا حريصين على الحفاظ على الذات العربية المتمثلة في لغتهم كي لا تذوب أو تضيع في ذات أجنبية.

أما في وقتنا الحاضر فنلاحظ أن اللغة العربية تتعرض لضغط هائل من اللغات الأوربية مما يهددها بخطر جسيم، ولا يقل قائل إن العيب في اللغة لأنها لا تستجيب لمقتضيات العصر الحديث، بل العيب فينا نحن أهل اللغة. نحن الذين نستسهل استخدام الكلمات الأجنبية، أو نحاول تزيين حديثنا وكتابتنا بها. هناك فرق كبير بين إجادة لغة أجنبية أو أكثر ـ وهذا أمر محمود ومطلوب ـ وبين إفساد لغتنا بألفاظ أعجمية وكأننا نسخر من ألفاظنا العربية. نفضل «تليفون» على «الهاتف»، «تلغراف» على «برقية»، «باص أو أتوبيس» على «حافلة»، «تاكسي» على «سيارة أجرة»، «كمبيوتر» على «حاسب آلي»... إلخ. بل تعدى الأمر إلى مجرد ترجمة الألفاظ الأجنبية دون إخضاعها لقواعد الصياغة العربية فكثرت ألفاظ مثل «اللامبالاة، اللامعقول، اللامقبول» وأصبحت شائعة في الاستخدام، وهي ترجمة حرفية لمقابلاتها في الإنجليزية. ولم يجهد الناقلون أنفسهم في صياغتها الصياغة العربية، وما كان ليكلفهم الكثير. كان يمكن أن يقولوا: «عدم المبالاة، غير معقول، غير مقبول... إلخ». علينا أن نكد ونجتهد في البحث عن المرادف العربي للكلمة الأجنبية وأن نقتصد، إلى أبعد حد، في استخدام الألفاظ الدخيلة حتى نحافظ على احترامنا لذاتنا، وألا نبتذل لغتنا.

إن استخدام ألفاظ غير عربية يفسد حديث المتحدث، وكتابة الكاتب، ويجعل السامع أو القارئ يتشكك في قيمة ما يسمع أو يقرأ.

تعريب الألفاظ الأعجميّة: (١)

لِنَنْظُر في هذا النصّ:

«منذ الرُّبع الثاني من هذا القرن، تَطورتِ العلومُ بصورةٍ مُدهِشة. فنظريةُ الكَم التي قال بها ماكس بلانْك في مطلع القرن، وحَقق صوابها بوهر في حقل ميكانيك الذرَّة، ثم هايزنبرغ، ونظرية أينشتاينْ المعروفة بالنسبية التي نقضت الطابع المُطْلَق الذي أعطِيَ للوقت، وبدأت تَطبَقُ على الأجسام ذات الحركة المُتسارعة، هاتان النظريتان استطاعتا معاً أن تقلبا كلَّ المبادئ التي ظُنتْ من قبلُ ثابتة.

وأدت الاكتشافات العلمية إلى نتائج باهرة:

«ففي حقل الفيزياء، بدأ تطبيقُ فيزياء الكمْ في عالمِ الذرَّة؛ وتوصَّلَ العُلَماءُ إلى إيجاد مَوادَّ مُشعِة صناعية مثل التريتيوم اللازم في صناعة القنبلة الهيدروجينية، وقد اختفى عن سطح الأرض منذ آلاف السنين.

«وفي حقل الكيمياء، ظهرت اختصاصات عديدة، منها الفوتوكيمياء، والالكتروكيمياء، والجيوكيمياء.

«وفي حقل البيولوجيا، توصَّل الباحثون إلى معرفة الهورمونات، وأهميتها في جسم الإنسان، وتعيين دور الوراثة في حياة الإنسان من خلال دراسة الخلايا الحية، ومن ثَمَّ تطبيقها في الميدان النباتي. وانتشر استعمالُ اللقاح، ثم

(١) غازي براكس، فن الكتابة الصحيحة.

الڤيتامينات للتغلب على الضعف الجسماني، كما أدى اكتشافُ الأنسولين إلى التغلب على داء السُّكَّري. وبفضل اكتشاف مُركبات السولفاميد والمواد المُضادَّة للحيويات، استطاع الطبُ ـ بتوفيق من الله ـ أن يشفي من كثير من الأمراض والحُميَات، واختفى خَطُر فقْرِ الدَّمِ الأبيض والأحمر على السواء.

«وفي ميدان النقل» استفادَ الطيرانَ حتى غَدا نفاثاً خارقاً لجدارِ الصوت. وكان للراديو والاتصالات اللاسلكية، ثم للتلفزيون شأن كبير، وما بعض الأقمار الصناعية في الوقت الحاضر إلاّ مُكمِّل لهذا الدور. ثم إن البدء بتعميم استعمال الطاقة الذَّرية في وسائل النقل كالغواصات والسُّفن صار قلب الاعتبارات الماضية ويُعد لتخطيط مُستقبلي.

«وبعد أن بات لدى المعسكرين سلاح نوويّ وهدْروجيني، برزتْ مشكلةٌ جديدة هي مشكلةُ إيجاد أسرع وسيلة لنقل هذا السلاح؛ فتطورت قاذفات القنابل. ثم صنعت الغوّاصات الذرّية، والصواريخُ العابرة للقارّات، والسُّفن الفضائية المُوجهة برادارات عجيبة من الأرض، والمَزودة ببطاريات تعبىء نفسها تلقائياً من أشعة الشمس»[1].

لو قرأ هذا النصَّ أحدُ أدباء العباسيين لما فهم منه شيئاً، ولَبَدت له صياغته في غاية الغرابة. فهو سيرى مفرداته على ثلاثة أنواع: نوع أليف بلفظه ومعناه، لكنه لا يمكنُ أن يُمدَّه بأية فكرة متكاملة عن فحوي النصَّ، ونوع ثان قوامُه ألفاظ عربية، لكنها مُحَمَّلة معاني جديدة لم تعرفها لُغةُ الضاد إلا في العصر الحديث، ونوع ثالث قوامُه ألفاظُ أعجميةٌ بمبناها ومعناها. ذلك لا يعني أن لُغَتَنا، اليوم، قد فسَدَت، بل إنها قد تطورتْ وأتسَعتْ لاستيعاب

(١) مُقتَبس بتصرف عن «أحداث القرن العشرين» للبيب عبدالستار، ص١٤٨ ـ ٢٦٢ .

مُسْتَحْدَثات الحضارة. والبُعْدُ الذي يشعرُ به العباسي عن مثل هذا النصّ قد يشعرُ به الجاهلي لو قرأ نصّاً لفيلسوفٍ أو عالم عباسي.

فتطوير معاني الألفاظ العربية قديمٌ قِدَمَ اللغة نفسها، وهو دائم الحدوث على أقلام الأدباء، في كلّ عصر.

«فالذَّرَّةُ»، مَثَلاً، تعني، أصْلا، واحدة الذَّر، وهي صغارُ النمل. وبهذا المعنى نزلَتْ في الآية الكريمة: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[١]. لكنْ يبدو أنَّ الكلمة اكتسَبتْ معنى جديداً في العصورالعباسية. فقد جاء في «لسان العرب» تحت مادة «ذرر»: «وقيل: الذرَّة ليس لها وزن، ويُرادُ مايرى في شُعاع الشمس الداخل في النافذة». فكأنَّما أرادَ بالذرة «الهباءَة». فاستناداً إلى المعنَيَينْ السابقين، أكْسِبَتِ اللفظةُ المدلول المُسْتَحدَث الذي عُرِف في الغرب[٢].

ومن معاني «الكَم» الواردة في «لسان العرب» الكمِّيَّة: وإليها استُنِدَ في مَنْحِ اللفظة معنى النظرية العلمية الحديثة[٣].

ومن معاني «الخَلِيَّة» الموضع الذي تُعَسِّلُ فيه النحل، وعليه اعتُمِد في إكساب اللفظة المعنى الجديد[٤].

أما كلمة «نسبية»[٥] فهي حديثة بصياغتها ومعناها، وإن كان لها أصلٌ

---

(١) سورة الزلزلة: ٧ ، ٨ .

(٢) Eng. atom; Fr. atomc

(٣) Quanta

(٤) Eng ccll; Fr. cellule

(٥) Eng. relativity; Fr. rclativite

لفظي. وكذلك «الصاروخ» و «الطائرة» و «الغواصة» و «النظرية» فجميعها مُسْتَحْدَثَةُ المعاني، ومُسْتَنْبطَةُ الأبنية بطريق الاشتقاق.

أما مفردات النوع الثالث فقد أُبْقِيَتْ على لفظها الأعجمي. غير أنَّ هذا النَّمطَ يجبُ ألا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة القُصوَى، أي بعد ما تُقْفَل في وجه اللُغويين جميعُ أبواب تجديد اللغة وتوسيع آفاقها إحياء وتطويراً واشتقاقاً.

ولننظُرْ، على سبيل المثال، في عددٍ من هذه الألفاظ:

بيولوجيا: بعض اللغويين وضَعَ لها كلمة «الحِياوة»، وبعضُهم عبارة «علم الأحياء». ولا ريب بأنَّ أولاهما مُغلقة على الفهم، غريبة على السمع، مع أنها عربية الصياغة، ولذلك لم تَشِعْ. أما الثانية فتتألف من كلمتين، ومعناها قد يحملُ التباساً. لذلك آثَرَ أكثرُ الكُتاب استعمال الكلمة الأعجمية بلفظها.

الفوتوكيمياء: يمكن ترجمتها بالكيمياء الضوئية. وكلمة «كيمياء» يونانية الأصل، لكنها اكتسبَتْ جنسية عربية. ومع أن العبارة المُتَرجمة تتألف من كلمتين، فإنها تبقى أفضل من الأولى التي تقترن فيها الغرابة بالغموض.

الالكتروكيمياء: يمكن ترجمتها بالكيمياء الكهربائية، وذلك أفضل من الكلمة المستخدمة، لأنها غريبةُ البناء، مُبْهَمةُ المعنى.

الجيوكيمياء: بعض أصحاب المُعجمات الحديثة ترجمَها «بالجُغراكية» لأنّها تقومُ على دراسة الجغرافية الكيماوية للكُرَة الأرضية. لكن يُفضَّلُ عليها عبارة الكيمياء الأرضية، إذ إنَّ لفظة «جُغراكية» يمجّها الذوقُ السليم، فضلاً عن انغلاقها على الأفهام.

الڤيتامين: ترجمَها بعضُ اللُغَويين بكلمة «حَيَمين». ومع أنَّ هذه اللفظة ليست ثقيلة على الذوق والسمع، فالأولى ما زالت تُنازعها الصدَارة، لشيوعها

على ألسُن الناس جميعاً، وانحصار استعمال الثانية في بعض الأوساط العلمية.

الراديو: بعضُ اللُغويين ترجمها «بالمذّياع». ولكن هذه الكلمة خُصِّصَتْ، فيما بعد، لما يُعرَف «بالمكّروفون»، فشاع استعمَالُ الكلمة الأولى، لخفتها في النُّطْقِ ووضوح مدلولها.

التِّلِفزْيون: عرَّبها بعضُ اللغويين بالتِّلْفَاز، وهذه الكلمة أكثرُ استساغة من الأولى، وداخلة تحت أحكام الموازين العربية. ولذا فهي حَرِيَّة بالشيوع.

رادار: استُخْدِمَتْ هذه الكلمة الأعجمية بلفظها الأصلي دون تحريف، لاستساغتها ودقة دلالتها.

بطَارِيَّة: ترجمها بعضُهم «بالحاشدة»؛ لكن هذه الكلمة لا توحي بالمُراد، ولذا أهْمِلَتْ، وشاع استعمالُ الأولى.

وهكذا ترى أن نجاح كلمةٍ جديدة ما منوطٌ بسَيْرورتها؛ والأفواه لا تتناقَلُها ما لم تكن واضحة المدلول، سائغة اللفظ. لكن قد تشيعُ كلمةٌ أعجميةٌ ما على ألسُن العامَّة والخاصة، لأنه لا بديلَ لها في العربية.

لذلك لا يُخيفَنَّكَ استقبالُ المعاني المُسْتَجِدّة في لُغات العالم، إذا عرفت شروط تقبلِها وَتَمَثُّلها فاللغاتُ جميعُها تتفاعل، وخصوصاً في هذا العصر الذي تداخلَتْ فيه الثقافاتُ، وتلاقحَت الحضارات، واقتسبت اللُغاتُ بعضُها من بعض، وذلك من جَرَّاء شيوع العلم والتعليم، وذُيوع وسائل الإعلام.

ولا يَغْرُبَنَّ عن بالكَ أنَّ الألفاظَ الأعجمية دخَلت العربية منذ الجاهلية. فالدولابُ، والدَّسْكَرة، والكَعْك، والسَّميد، والجُلنَّار فارسية؛ والفُلْفُل،

والجاموس، والشَّطْرنجُ، والصَّنْدَلُ هندية أو سنسكريتية؛ والقبان، والقنطار، والترياق، والسَّجَنْجل يونانية. وجميع هذه الألفاظ دخلت اللغة الجاهلية[١].

ولو تبصَّرنا في ألفاظ القرآن الكريم لتَحَقَّقْنا مدى الصحة في قول ابن جرير: «في القرآن من كل لسان». وقد ذكر السُّيوطي في «ما وَقَعَ في القرآن من المُعَرَّب» نماذجَ مما وردَ في الكتاب الشريف بالرومية، والفارسية، والهنديّة، والسريانية، والحبشيَّة، والنبطيَّة، والعِبْرية حتى التركية، والزنجية، والبربرية[٢]. وإنْ أخطأ السُّيوطي في نسبة بعض الألفاظ إلى لُغاتها الأصلية، فمما لا ريبَ فيه أنَّ مفردات كثيرة ذات أُصول أعجمية دخلت القرآن الكريم، واكتسبت فيه صِيَغاً عربية.

من أمثال ذلك: القسطاس (رومية)، الإستبرق والسّندس (فارسية)، طوبي (هندية)، السَّري (سريانية)، الأرائك (حبشية)، القِط بمعنى الكتاب[٣]. (نبطية)، كَفَّرَ بمعنى محا (عِبرية)[٤]، غَسَّاق بمعنى بارد ومنتِن[٥] (تركية)، وتُطلَقُ على ما يسيلُ من جلود أهل النار وصديدهم ، إلخ...

ولو استقصيت الألفاظَ الأعجميةَ التي دخلت العربية في سياق العصور الماضية، لَوَجدتَها بالمئات. فمن أمثلة الألفاظ الفارسية:

---

(١) انظر الأمير مصطفى الشَّهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص ١٧ .

(٢) انظر صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص٣١٦ .

(٣) وردت في الآية: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: ١٦).

(٤) وردت في كثير من الآيات منها : ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (سورة محمد : ٢)، كذلك في المائدة: ١٣ ، ٦٨، وآل عمران: ١٩٥ وغيرها.

(٥) وردت في الآية: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾(سورة النبإ: ٢٤، ٢٥)، كما في سورة ص: ٥٧ .

الكوز، الإبريق، الطّشت أو الطَّسْت، الخِوان، الطبق، القَصْعة، السكرُّجة، الخَزّ، الديباج، الياقوت، الفيروزج، البِجاد، البأور، السَّميد، الكعك، السّكباج، الفالوذج، اللَوزينَج، الجُلاب، الدارصيني، الفُلْفُل، الكَرَوْياء، القرفة، الزنجبيل، النرجس، البنفسج، النَّسرين، السّوسن، الياسمين، الجُلَّنار، المسك العَنْبر، الكافور، الصَّنْدَل، القُرنفُل[1].

وكذلك الإبريسم (الحرير)، الأبزيم، الأخُور، الأرجوان، الأزدرخت (الزنزلخت)، الإسبيداج (بياض الرصاص)، الأستاذ، الإستار (في العدد ٤، وفي الوزن ٤ مثاقيل ونصف)، الأسطوانة، الأفيون، الأنبيق (آلة للتقطير)، الطنبور (آلة للطرب)، التنبك، الدفتر، الفهرس أو الفهرست، النموذج أو الأنموذج، الديوان.

ومن أمثلة الألفاظ الرومية التي دخلت اللغة العربية قديماً:

الفردوس، البستان، البطاقة، الأسطرلاب، القُبرس (أجود النحاس)، البطريق، القرميد، الترياق، القنطرة، النَّقْرس والقولَنج (مرضان)[2].

كذلك الإبريز، الإسطاطيقي (الجمالية)، الإسْطَقِسّات (الماء والهواء والنار والتراب)، الأسطول، الإسفنج، الأشْنان (حمْض تغسل به الأيدي)، الأفسنتين (نوع من النبات)، الألماس، الأنيسون (اليانسون).

ومن أمثلة الألفاظ السريانية أسماء الأشهر الشمسية: كانون، شباط آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين.

---

(١) الثعالبي: فقه اللغة، ص٤٥٣ ـ ٤٥٥ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٥٥ .

أما في العصر الحديث فقد كثُرَ الاقتباس من اللغات الأجنبية، ولاسيما في المجالات العلمية. وحسبنا عرضُ طائفة من المصادر الصناعية التي صيغت من ألفاظٍ أعجمية الأصل لنُدرك إلى أيّ مدى باتت اللغةُ العربيّة مُهَيَّأةً لاستيعاب اللفظ الأعجمي. فمما شاع على أقلام الكُتّاب:

الإمبريالية، الدكتاتورية، الليبرالية، البرجوازية، التكنوقراطية، الأوليغارشية، الديمقراطية، الأرستقراطية، الثيوقراطيّة، البيروقراطية، الفدرالية، الكنفدرالية، الفاشية، البراغماتية، الكلاسيكية، الرومنسية، البرناسية، الدادئية إلخ...

خلاصة الباب الأول أنَّ صحّة المفردات تقومُ على وُجوب المُطابقة بين المعاني الدقيقة التى يَنشدُها الكاتب والأبنية اللفظية الفُضلى التي تُتيحُ أداءَ تلك المعاني، سواء أكانت المفرداتُ أفعالاً مجرَّدة أم مزيدة، مصادر، أم أسماء، أم صفات، أم أمثالَ مبالغة، وسواء أكانت عربية أصيلة قديمة، أم دخيلة، أم موضوعة مُستحَدثة، اقتَضَتْها ضرورة الترجمة والتعريب.

كذلك تقومُ صحةُ المفردات على وُجوب الملاءَمة ما بينها من حيث اختصاص بعضها ببعض، ومن حيث دقة الدلالة المتوخّاة.

لكن أتكفي إحاطة الكاتب بأصول المفردات العربية وأبنيتها، وأقيستها، وخصائصها، ودقائقها ليطمئنّ إلى كتابةٍ صحيحةٍ دقيقة؟

٣ ــ يجب أن تكون اللفظة غير عامية ولا محلية

ربما يكون خارجا عن ميداننا هنا الحديث عن نشوء العامية وتطورها، ولكننا نود أن نلفت الأنتباه إلى الفجوة التي تزداد اتساعا بين اللغة العربية

الصحيحة، لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث القومي، ووسيلة التفاهم لكل عربي، ولغة الدين لكل مسلم، وبين اللغات أو اللهجات المحلية في كل دولة عربية. ويجب أن نتنبَّه إلى أن اتساع الفجوة بين الفصحى والعامية يمثل خطراً لا يقل جسامة عن خطر الألفاظ الدخيلة على اللغة. وإذالم نحاول جاهدين تضييق هذه الفجوة يمكن أن تسود اللهجات المحلية، إلى أن تصبح اللغة العربية مجرد لغة دين وشعائر.

وعلى كل كاتب أن يتذكر هذه المكانة التي تتميز بها اللغة العربية. عليه أن يبتعد عن استخدام الكلمات العامية والمحلية التي يقتصر فهمها على أقلية محلية غير متعلمة. وخير وسيلة لتدارك هذا الخطأ هي أن يحاول الإنسان استخدام ألفاظ عربية فصيحة في لغة الحديث أولا، ثم يحافظ على سلامتها في الكتابة.

والمقصود بالألفاظ الفصيحة هنا ليس التفنن في البحث عن الألفاظ الغريبة وإنما المقصود أن يميز الإنسان بين المعجم اللفظي للإنسان المتعلم والإنسان الجاهل. وهذا الاختلاف يتضح كثيرا في الحديث والكتابة، ولعلنا نذكر هنا كلمة ابن المقفع حيث يقول: «عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السَّفِلة»، أي لغة العامة الجهلاء. فإذا كنت في شك من صحة لفظة عربية فارجع إلى أحد المعاجم للتأكد منها. ويمكنك أيضا أن تستفسر من أحد المختصين باللغة العربية عن سلامة لفظة يراودك شك فيها. وبذلك تكون قد حافظت على لغتك العربية وكسبت احترام القارئ لكتابتك وفهمك كل من يعرف اللغة العربية بغض النظر عن جنسه أو دينه أو وطنه.

خـــلاصـــة:

نخلص من هذه السطور إلى أن الألفاظ هي اللّبنات الأولى التي تتألف منها الكتابة، وعرفنا أنه يتوقف على الألفاظ جانب كبير من سلامة الكتابة وتحقيقها لهدفها. ولذلك، ينبغي على الكاتب أن يتمهل في اختيار ألفاظه، وأن «يحسن استخدام الكلمة المناسبة في المكان المناسب» ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر عدة شروط في الكلمة المكتوبة. ينبغي أن تكون دقيقة بحيث تعبر عن مقصود الكاتب بالضبط، وذلك بالتمييز بين الظلال الدقيقة في معاني ما يسمى بالمترادفات اللفظية، والمحافظة على سياق الكلمة المناسب. وبالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تكون محددة وذلك بأن يتجنب الكاتب استخدام الألفاظ العاميَّة وما يتبعها من أحكام عامة يحوطها الكثير من الغموض المضلِّل. كما يجب أن تكون الألفاظ المكتوبة صحيحة وسليمة في اشتقاقها وبنائها الصرفي، وعربية في أصولها وبنائها غير دخيلة على اللغة حتى نحافظ على ذاتنا المتمثلة في لغتنا، ونحافظ على أمانة اللغة في أعناقنا. كما ينبغي أن تكون الألفاظ غير عاميَّة ولا محلية حتى لا يقتصر فهمها على عدد من قراء العربية. إذا تمرس الكاتب على اختيار ألفاظه اختيارا سليماً فإنه يكون بذلك قد خطا أول خطوة نحو إجادة الكتابة السليمة.

الجَوْهَرُ والشَكّلُ

لننظُرْ في النصوص التالية[1]:

أ ــ جاء في حديث شريف:

«مَنْ رأى منكم مُنْكراً فليُغيره بيَده، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطُع فبقلبه، وذلك أضعَفُ الإيمانِ».

(١) غازي براكس، فن الكتابة الصحيحة.

وورَدَ في إحدى الصحف التي تمخضَتْ بها الحربُ اللبنانيّة:

«إذا رأيتم أربابَ البغْي والفساد يعيثون في العباد والبلاد، وكان في مقدوركم أن تجبهوهم بما تملكون من قُوّة، فبادِروا إلى صَدِّهم، والقضاء على أمرهم؛ ولكنْ إذا لم تُتَحْ لكم وسائلُ القوة وذرائعُ السلطة، وكنتم قادرين على التصدي لأهل الشر والطغيان بما تملكون من علم وبيان، فبادروا إلى نَقْدِهم وفَضحهم حتى تردّوهم عن غيِّهم؛ فإذا لم يَهَبْكم العَلِيُّ القديرُ قوة البيان ولا جرأة القلب، فليكُن موقفكم الصامتُ منهم موقفَ استنكار، لأن ضميركم الخفيَّ، وإن استتر عن الناس، يتكشف لعلام الغيوب».

ب ــ جاء في بعض المُعْجَمات العربية التحديداتُ التالية:

الصحراء: الفضاء الواسع لا نبات فيه.

التراب: الأرض وما نَعُمَ منها.

النجم: أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة، ومنها الشمس.

الحياة: مجموع ما يُشاهَد في الحيوانات والنباتات من مميّزات تُفرّق بينها وبين الجمادات، مثل التغذية، والنمّو، والتناسُل، ونحو ذلك.

الحِبْر: سائل ذو لون يُكْتَبُ به.

وإليك التعريفات التي وضعَها بعضُ الأدباء للأسماء الآنفة الذكر:

قال راجي الراعي:

«الصحراءُ كفٌّ طويلةٌ مبسوطة تستجدي الماء».

«الترابُ بساطُ الموتِ يطويه على الخلائق»[١].

وقال أمين نخلة (١٩٠١م ـ ١٩٧٦م):

«الحبْر ـ ويحَكَ ـ نورُ أسودُ وكنزٌ سائل! وهو عطرُ الدفاتر، وشبَعُ الفراغ، وري البياض، وغيثُ الورق، بل هو نقشُ الهوى، ولونُ العقول في القرطاس؛ فمالكَ تخشى على أطراف أصابعك أن تشاب بسواده؟!»[٢].

بين يديكَ الآن مجموعتان من النصوص المتقابلة، إنْ تُنْعم النظرَ فيها تر كُلاً منها يتألف من جوهر وشكل. أمّا الجوهر فقوامُه طاقةٌ فكرية معيّنة قد تقترن بطاقةٍ وجدانية متمثلة بعاطفة أو بانفعال. وأمّا الشكل فقوامُه مادّةٌ لفظيّة اتّخذَتْ نظاماً تعبيرياً خاصّاً، وقد اندمجَتْ بها تلك الطاقةُ اندماج النفس بالجسد.

فالمجموعة الأولى تضمّ نصّين يشتركان في مِحْوَر فكريّ واحد هو موقفُ المؤمن من المُنْكَر. لكنّ هذا السيّال المعنوي الواحد اتّخذ شكلين مختلفين اختلافاً بَيّناً. فالحديث الشريف جاء شكلُه مُكثَّفاً، شديدَ الفاعليّة، لاستيعابه الطاقة الفكريّة مضغوطة؛ في حين أنّ الطاقة نفسها اتّخذَت، في النصّ المقابل، شكلاً فضفاضاً لم يكن شديد الفاعليّة عينها، لخلوّه من أيّ ضغط يزيد في توتُّر الطاقة.

أما المجموعة الثانية فتشتمل على خمسة تعريفات وجيزة نُظِرَ إليها بمنظارين مختلفين تماماً؛ فكانت الرؤية الأولى علمية موضوعيّة، والرؤية

---

(١) راجي الراعي: قطرات ندى، ص١٣ و ٢١٨ .

(٢) أمين نخلة: المفكرة الريفية، ص١٣ .

الثانية أدبية ذاتية. وتبّعاً للطاقة الفكرية أو الوجدانية المحّركة، استهدف شكلُ النماذج الأولى ـ وهو مُعجَميّ ـ الإفهام الواضحَ البسيط، واستهدفت أشكال النماذج المقابلة ـ وهي فنيّة ـ الإيحاء الجماليّ الضبابيّ. ولذا كان للخيال وظيفة بارزةُ في الصياغة الفنيّة، بينما خَلَتْ منه الصياغةُ العلميّة.

المعاجم وتنمية اللغة

والآن، قبل أن ننهي هذا الفصل يحسن أن نعرض لنقطتين مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً بما قلناه في السطور السابقة. هاتان النقطتان تتمثلان في السؤالين الآتيين:

أولا: كيف تستخدم المعجم؟

ثانيا: كيف تنمي ثروتك اللفظية؟

وسنحاول الإجابة عن هذين السؤالين بقدر من الإيجاز غير المخل بالهدف.

أولا: كيف تستخدم المعجم؟

لا يستطيع إنسان، مهماتبلغ درجة علمه وثقافته، أن يحيط باللغة، فاللغة محيط واسع أوتي كل واحد منه نصيبا. هذا النصيب يكبر ويصغر على قدر علم الإنسان وثقافته. وكثيرا ما تقابلنا كلمات لا نعرف معناها على وجه التحديد مثل سديم، عران، سُحْت، وأحيانا تصادفنا كلمات نجهل اشتقاقها الصحيح فلا نعرف هل هي مبيع أو مُباع، وأحيانا أخرى، تتشابه علينا بعض الألفاظ فلا نميز ضبطها أو دلالة كل منها مثل علاقة (بكسر العين) وعلاقة (بفتحها)، خلة (بضم الخاء) وخلة (بكسرها)، خلاق وأخلاق، وغيرها كثير.

والإنسان المتعلم الحريص على سلامة تعبيره ودقة معانيه، أيّاً كان تخصصه، لا يسمح لنفسه باستخدام مثل هذه الألفاظ كيفما اتفق وحسبما شاء مزاجه، أو يمر عليها مرّ الكرام فلا يعيرها انتباها، بل يعمد إلى التأكد من معناها، وسلامة اشتقاقها وصحة ضبطها. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الأمور من الشروط اللازمة للفظة المكتوبة.

ووسيلتنا إلى ذلك هي الرجوع إلى أحد المعاجم اللغوية. وإنه لأمر محزن ومؤسف حقاً أن كثيرين ممن بلغوا في سلّم العلم درجة عالية، وممن تعددت ثقافاتهم يجهلون أسماء المعاجم العربية فضلا عن طريقة الكشف عن لفظة فيها. هذا في الوقت الذي يجهدون أنفسهم في التحقق من كلمة إنجليزية أو فرنسية في مختلف المعاجم الأجنبية، وكأن اللغة العربية لا تعنيهم في شيء كأن الكشف عن ألفاظ اللغة، والدقة في استخدامها، والحفاظ عليها وعلى سلامتها، كلها أمور من اختصاص المشتغلين باللغة وآدابها. ونسوا أنهم أبناء اللغة، وأنهم يستخدمون اللغة العربية في أحاديثهم وكتاباتهم، ومن ثَمَّ فهُم مطالبون بالدقة والسلامة والصحة في استخدام هذه الألفاظ. أليس هذا بالأمر المؤسف والمحزن حقاً؟!

في الوقت نفسه لم يبخل علماء اللغة قديما وحديثا، ببذل الجهد والوقت في سبيل جمع ألفاظ اللغة العربية، وترتيبها، وبيان معانيها، وضبط نطقها، وذكر مشتقاتها. ووضعوا هذه الحصيلة الهائلة في عدد كبير من المعاجم اللفظية. ولم يدر في ذهنهم أن هذه الجهود الجبارة سيكون مكانها الرفوف ونصيبها الإهمال والتجاهل من أبناء اللغة اللاحقين. ولا يتسع المجال هنا للحديث عن المعاجم العربية جميعها للتعرف على مؤلفيها ومؤلفاتهم والجهود

التي بذلت في تحصيلها (لمن أراد الاستزادة يمكنه الرجوع إلى حسين نصار، «المعجم العربي، نشأته وتطوره» جزءان، القاهرة ١٩٥٦م) ولكننا نكتفي هنا بإعطاء فكرة موجزة عن طرق الكشف فيها.

الكشف في المَعَاجم

المُعجم اللُّغوي: كتابٌ يشتملُ على عدد كبير من مفردات اللغة يُبَيِّنُ معانيها، ويضبط بِنْيتها، ويذكر مشتقات كُلٍّ منها، وجمع التكسير للمفردات.

والمعاجم اللغوية كثيرة، منها القديم والحديث. والمشهور منها: الصِّحاح، وأساس البلاغة، ولسان العرب، والقاموس المحيط، ومختار الصَّحاح، والمصباح المنير، والمعجم الوسيط، والمُنْجِد.

ترتيب المعاجم

تُرتِّب المعاجم مفرداتها ترتيبا يسهل على المتعلم والباحث طريقة الكشف عنها، وهناك طريقتان لترتيب هذه المفردات:

الطريقة الأولى:

تتمثَّل في ترتيب الكلمات على حسب حروفها الهجائية الأصيلة أي مجردة من الأحرف الزائدة، مع الابتداء بالحروف الأول من الكلمة، ثم الثاني، ثم الثالث. ويمكن توضيح هذه الطريقة في الخطوات التالية:

أ) تقسم الكلمات إلى ثمانية وعشرين باباً كل باب منها يختص بحرف معين من حروف الهجاء التي يبلغ عددها ثمانية وعشرين حرفًا، ويذكر في الباب جميع الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف.

ب) ترتب الكلمات في كل باب بحسب ترتيب الحرف الثاني بين الحروف الهجائية، ثم الحرف الثالث.

فمثلاً كلمة (أمَرَ) تجدها في باب (الهمزة)، وتجد مكانها بين الكلمات التي ثانيها (الميم)، وثالثها (الراءُ).

والمعاجم التي تتبع هذه الطريقة هي:

أساس البلاغة، والمصباح المنير، ومختار الصِّحاح، والمعجم الوسيط، والمُنْجد. وقد رُتب على هذه الطريقة حديثاً معجما لسان العرب والقاموس المحيط.

الطريقة الثانية:

وهي تتمثل في ترتيب الكلمات على حسب حروفها الأصلية، أي مجردة من أحرف الزيادة، ومبتدئة بالحرف الأخير من الكلمة، وتقسم الكلمات في هذه الطريقة إلى ثمانية وعشرين باباً، والباب هو الحرف الأخير من الكلمة، وفي كل باب عدة فصول باعتبار الفصل هو الحرف الأول من الكلمة، وترتب الكلمات في كل فصل بحسب ترتيب الحرف الثاني بين حروف الهجاء.

فإذا كشفت عن كلمة (أبَر) مثلاً تجدها في باب (الرَّاء) فصل (الهمزة) وتجد مكانها بين الكلمات التي ثانيها حرف (الباء) ويسير على هذه الطريقة: الصِّحاح، ولسان العرب، والقاموس المُحيط.

وكلتا الطريقتين تعتمد على ترتيب الحروف الهجائية (أ. ب. ت. ث. ج..... إلى الياء).

طريقة الكشف في المعاجم

أ) طريقة البحث في أساس البلاغة، والمصباح المنير، ومُختَارِ الصِّحَاح، والمعجم الوسيط، والمُنْجِد.

لكي تبحث عن معنى كلمة في المعاجم التي ترتب أبوابها على حسب أوائل الكلمات وهي كما ذكرنا: (أساس البلاغة، والمصباح المنير، ومختار الصحاح، والمنجد، والمعجم الوسيط، تتبع الخطوات الآتية:

١ ـ تُرد الكلمة إلى مفردها إن كانت جمعًا.

٢ ـ وتُرد إلى الماضي إن كانت مضارعًا أو أمرًا.

٣ ـ وتُرد فيها الألف إلى أصلها، الواو أو الياء.

٤ ـ وتُجرَّد من حروف الزيادة إذا كانت مزيدة.

ثم يُنظَر إلى أول حرف من الكلمة؛ ليُعرَف بابها، ثم يُنظَر إلى الحرف الثاني، ثم الحرف الثالث.

فإذا أردت أن تكشف عن كلمة (دَرَأَ) مثلاً تجدها في باب الدال والراء، ثم (الهمزة).

فإذا كانت الكلمة مزيدةً مثل (ابتهج مثلاً، جُرِّدَت من الزيادة فتصيرُ (بَهَجَ) فَيُكشَف عنها في باب (الباء) ثم (الهاء)، ثم (الجيم).

وهكذا توجد كلمة (أنشَأ) في باب (النُّون)؛ لأن أصلها (نَشَأ)، وكلمة (استمع) في باب السين؛ لأن أصلها (سَمِعَ). وكلمة (استخرج) في باب الخاء؛ لأن أصلها (خرج)... وهكذا.

فإذا كان الحرف الثاني أو الثالث من الكلمة ألفًا، مثل: (رَاح ـ سَال ـ دَعا ـ رَمَى).

فلابد أن يُعرَف أصل هذه الألف بالرجوع إلى الفعل المضارع، أو الرجوع إلى المصدر إذا لم يظهر أصل الألف في المضارع.

فكلمة (راح) مضارعُها (يروح)، فالألف أصلها (واو)؛ ولهذا تكون مادة الكلمة (روح).

وكلمة (سال) مضارعها يَسِيل) فالألف أصلها (ياء)؛ ولهذا تكون مادة الكلمة (سَيَل).

وكلمة (دَعَا) مضارعها (يَدعُو) فأصل الكلمة (دَعَو).

وكلمة (رمى) مضارعها (يرمي) فأصل الكلمة (رَمَي)... وهكذا.

ب) طريقة البحث في الصِّحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط

يتبع في الكشف عن معاني الكلمات في هذه المعاجم ما اتُّبع في المعاجم الأخر من تجريد الكلمة من الزوائد، وردها إلى المفردات إذا كانت جمعًا، وإلى الماضي إذا كانت مضارعًا أو أمرًا أو مشتقّاً، وترد الألف في الحرف الثاني أو الثالث إلى أصلها (الواو) أو الياء) كما سبق.

وعند البحث عن موقع الكلمة في هذه المعاجم يُنظَر إلى الحرف الأخير من حروفها الأصلية ليُعرَف الباب، وإلى الحرف الأول ليُعرَف الفصل، ثم إلى الحرف الثاني.

فمثلاً: كلمة (دَرَأ) تجدها في باب (الهمزة) فصل (الدال)، ثم (الراء) وكلمة (ابتَهَجَ) في (بهج) باب (الجيم) فصل (الباء). وكلمة (استَرَاح) في (روح) باب (الحاء) فصل (الراء). وكلمة (قَضَى) في (قَضِي) باب (الياء) فصل (القاف)... وهكذا على أن يُرَاعى الترتيب في الحرف الثالث.

obeikandl.com

ولكي تألف استخدام المعاجم ابحث عن كلمة (استلهام) في القاموس المحيط مرة، والمعجم الوسيط مرة أخرى.

المعاجم وضبط بنية الكلمة

كما تفيدُ المعاجم في معرفة معاني المفردات تفيدنا كذلك في ضبط حروفها، وتستعمل المعاجم لضبط حروف الكلمات الطرق الآتية:

أ) في ضبط ماضي الأفعال الثلاثية ومضارعها تذكر الأبواب الآتية وغيرها، كأمثلة تقاس عليها: باب (نَصرَ) كما في (رقَدَ - يَرْقُد) وباب (ضَرَبَ) كما في (عرَف - يَعْرِف)، وباب (فَتَح) كما في (شَرَح - يشرَح) وباب (فرح) كما في (شربَ - يَشرَبُ)، وباب (كَرُم) كما في (شرُف - يَشْرُف) وباب (حَسِب - يَحْسِب) كما في (نعِم - يَنْعِم) و (وَرث - يَرِث).

فإذا ذُكِرَ أن الفعل من باب (نصر) فمعنى ذلك أنَّ مضارعه مضموم العين (ينصرُ) وإذا ذُكِر أن الفعل من باب (ضرب) كان مضارعه مكسور العين (يضرب)... وهكذا.

ب) في ضبط الأسماء تشبِّهها بأسماء أخرى مشهورة مألوفة الوزن، لتضبط على نسقها. (كالنَّمر) بوزن (الكتِف)، و نَمِير) بوزن (سَمير)، و (صُرَاخ) بوزن (غُرَاب)... وهكذا.

جـ) وأحياناً تنص على نوع الحركة في الحرف الذي يراد ضبطه من الضمِّ أو الفتح أو الكسر، فيقال، مثلاً:

سَمَح يسمَحُ بالفتح فيهما.

وهتف من باب ضرب، ويهتف بالكسر ... وهكذا.

وهناك نمط آخر من المعاجم وهو إحدى ثمرات الجهود المضنية والمتواصلة التى يبذلها علماء اللغة العربية والمؤسسات العلمية في أنحاء العالم العربي من أجل حفظ اللغة العربية من الانهيار أمام غزو الألفاظ الأجنبية. فقد وضع «مجمع اللغة العربية بالقاهرة» معجمًا للمصطلحات العلمية والفنية الأجنبية ومرادفاتها العربية كما أقرها أعضاء المجمع والأساتذة المتخصصون. وقد نشر المعجم تحت اسم «مجموعة المصطلحات العلمية والفنية». ورتبت المصطلحات حسب ميادينها، فاختص كل باب بفرع من فروع العلم والمعرفة. فهناك باب لمصطلحات الكيمياء والصيدلة، وباب لمصطلحات اللغة والأدب،... إلى آخر فروع العلوم والفنون. ثم رتبت المصطلحات في كل باب حسب الحروف الأولى من اللفظ الإفرنجي. وطريقة الكشف فيه لا تتطلب أكثر من معرفة ميدان المصطلح (طب، جولوجيا، هندسة... إلخ) ثم معرفة هجائه الإفرنجي الصحيح. وبذلك يمكنك الحصول على المرادف العربي الذي اتفق عليه علماء اللغة والتخصص وفيما يلي نموذج منه:

مصطلحات في الكيمياء والصيدلة

قوة الامتصاص ـ قدرة أي جسم على تشرب جسم آخر	absorbing power
زلالاني ـ هو بروتين يشبه الزلال	albuminoid
زلالي ـ نسبة إلى الزلال	albuminous
قلواني (شبه قلوي)	alkaloid

وهكذا إلى أن تنتهي المصطلحات في الكيمياء والصيدلة ثم يبدأ باب جديد يتناول مصطلحات فرع آخر ومرتبة بالطريقة نفسها.

obeikandl.com

وهناك مجموعة كبيرة أخرى من المعاجم العربية التي لا يتسع المجال لذكرها هنا. وإنما اكتفينا بذكر المعاجم التي لا غنى للكاتب عنها حتى تخرج كلماته صحيحة سليمة محددة.

ثانيا: كيف تنمي ثروتك اللفظية

لعلنا ندرك الآن مدى أهمية الثروة اللفظية التي تُمكِّنُ الإنسانَ المتعلم من التعبير السليم عن أفكاره وآرائه سواء في الحديث أو الكتابة. وهنا يأتي السؤال: كيف يستطيع الإنسان تنمية ثروته اللفظية؟ تجب الإشارة، منذ البداية، إلى أن المعاجم اللفظية (لسان العرب مثلا) لا تساعدك كثيرا في تحقيق هذا الهدف. فالمعاجم تساعدك فقط في الكشف عن الألفاظ التي يغمض عليك معناها، أو يشكل عليك اشتقاقها، أو يلتبس عليك ضبطها. لذلك، لابد من طريقة أخرى لتنمية الثروة اللفظية.

يمكن القول بأن للإنسان المتعلم معجمين لفظيين (المعجم اللفظي يعني ثروة الإنسان من الألفاظ)، المعجم الأول يمثل الألفاظ التي يعرفها الإنسان ويختزنها في ذاكرته ، ويمكنه التعرف عليها، وفهم معانيها، وإدراك إيحاءاتها عندما يقع عليها مكتوبة أو مسموعة. والإنسان يكتسب هذه الثروة اللفظية العامة منذ طفولته عن طريق أبويه أولا، ثم عن طريق المجتمع الذي يعيش فيه بعد ذلك. أما المعجم الثاني للإنسان فهو معجمه الخاص، وهو يمثل الألفاظ التي استقرت دلالتها في ذهنه، ومن ثَمَّ يستعملها فعلا في حديثه وكتابته. وهذا المعجم الخاص يمثل، في واقع الأمر، نسبة صغيرة من معجمه العام، قد تصل إلى الثلث أو الربع.

ولتنمية المعجم العام لابد من توافر شرط أساس هو حب المعرفة، وهذا يعني وجود رغبة أكيدة للتعلم والاستزادة من العلم. والمقصود هنا ليس تعلم

الألفاظ في حد ذاتها، وإنما المقصود هو اكتساب مزيد من المعرفة حول أي موضوع أو أي أمر يقابله الإنسان في حياته. هذه الرغبة الملحة في المعرفة ينتج عنها حب عميق للقراءة، وتبدأ هذه القراءة بالدراسة المتأنية والمتفهمة لما يحصله الإنسان في مختلف فروع العلم التي يدرسها في مراحل تعليمه. ولكن هذا لا يكفي لتنمية المعجم اللفظي للإنسان، بل يتطلب أيضا أن يُعوِّدَ المرءُ نفسَه على القراءة والإطلاع خارج مجال دراسته كأن يُعوِّد نفسه قراءة الصحف اليومية والمجلات الأدبية والعلمية. ولا يهم هنا تحديد الميادين التي ينبغي أن يطرقها الإنسان في قراءاته. إنما المهم هو تنمية حب القراءة والاطلاع في الميادين التي يرغب فيها. هذه القراءة المتأنية، وهذا الاطلاع الدائم يجعلنا نتعرف على ألفاظ جديدة، أو تزيد معرفتنا بألفاظ سبق لنا التعرف عليها من قبل . فدارس الآداب، مثلا، لا يعرف شيئاعن آلية السيارة، فهو يحصر نفسه في قراءة الكتب الأدبية والدراسات الإنسانية التي يدرسها في كلية الآداب. لو أنه قرأ كتابا أو مقالا في مجلة عن السيارة لتعرَّف على كلمات جديدة عليه مثل الترس، المحرك، ذراع المقاومة، الاحتراق الداخلي، قوة الدفع، المقاومة... إلخ. وسيجد أنه أضاف ألفاظا جديدة إلى معجمه العام. والأمر نفسه ينطبق على دارس العلوم حين يقرأ شيئا في الآداب والفنون.

هذا عن المعجم اللغوي العام، أما عن المعجم اللغوي الخاص، فهو ما حصّله الإنسان من مفردات المعجم العام، وصار مألوفا لديه، فأكثر من استخدامه.

والنتيجة التلقائية لهذه العملية هي أنه كلما كبر المعجم العام للإنسان المتعلم كبر معجمه الخاص، والعكس صحيح، ولتنمية هذا المعجم الخاص يجب أن نتأكد من سلامة استخدام الكلمة التي نتعرف عليها، ومتى ألفناها وعرفنا

دلالتها نحاول أن نستخدمها في حديثنا وكتاباتنا. وهناك طريقة ثانية لتحقيق هذا الهدف، هي محاولة التعرف على أكبر قدر من المترادفات، وذلك بالرجوع إلى بعض الكتب في المترادفات (فقه اللغة للثعالبي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد لليازجي) هذه الطريقة تساعدك على تبين الظلال الدقيقة بين الكلمات المشتركة في المعنى العام، وبذلك تزداد ثروتك اللفظية. وهناك طريقة ثالثة- أكثر أهمية وهي أن تحاول مراجعة ما تكتب، وتحاول أن تكون محددا، قدر الإمكان، في صياغة أفكارك وآرائك. هذا يجعلك تبحث، عن عمد، عن عدد أكبر من الكلمات. وفي الوقت نفسه تتعرف على معاني هذه الكلمات واستخدامها السليم، ومن ثَمَّ تضاف إلى مخزونك من الثروة اللفظية.

واعلم أنّ الاكتساب بالتعلّم والتكلّف وطول الاختلاف إلى العلماء ومُدارسة كتُب الحكماء، فإن أردتَ خوضَ بحار البلاغة، وطلبتَ أدواتِ الفصاحة، فتصفَّح من رسائل المُقتدّمين ما تعتمد عليه، ومن رسائل المُتأخرين ما تَرجع إليه، في تَلْقيح ذهنك، واستنجاح بلاغتك، ومن نوادر كلام الناس ما تَستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسيِّر والأسمار ما يَتّسع به منطقك، ويعذُب به لسانك، ويطول به قلمُك.

وانظر في كُتب المقامات والخُطب، ومحاورات العرب، ومعاني العجم، وحدود المنطق، وأمثال الفُرس، ورسائلهم وعُهودهم، وتوقيعاتهم وسِيَرهم، ومكايدهم في حُروبهم بعد أن تتوسّط في عِلم النحو والتَّصريف واللُّغة، والوثائق والشروط، ككتب السجلاّت والآمانات؛ فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب. وتمهر في نَزْع آى القرآن في مواضعها، واجتلاب الأمثال في أماكنها، واختراع الألفاظ الجَزْلة، وقَرْض الشّعر الجيِّد، وعلم العروض؛ فإنَّ تَضْمين المثل السائر،

والبيت الغابر، مما يزين كتابك، ما لم تُخَاطِب خليفةً أو ملكا جليل القدر، فإن اجتلاب الشِّعر في كُتب الخلفاء، والجلّة الرؤساء، عيبٌ واستهجان للكُتب، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له، فإن ذلك مما يزيد في أبهته، ويدلّ على بَراعته. وإن شَدَوْتَ من هذه العلوم مالا يشغلك مَحَلّه، وتنقَّبت من هذه الفنون ما تَستعين به على إطالة قَلمك، وتَقْويم أوَد بيانك[1].

(١) الرسالة العذراء، لابن المدبر.

obeikandl.com

الفصل الثالث

الجملة

- أن تكون ملتزمة بقواعد النحو
- أن تكون موجزة
- أن تكون واضحة
- خلاصة

من الألفاظ الدقيقة، المحددة، السليمة، الصحيحة تتكون الجملة القوية المؤثرة. والجملة هي الخطوة الأولى في عملية التركيب الإنشائي للتعبير عن الفكرة. ولقد رأينا في الفصل السابق أنه يجب اختيار الألفاظ وأن تتوافر لها مقومات أساسية تعطيها قوة وتأثيرا، والأمر نفسه في بناء الجملة، فلا يكفي أن تكون ألفاظها دقيقة محددة فحسب، بل يجب كذلك أن يكون تركيب هذه الألفاظ في الجملة سليما بحيث نخرج بجملة قوية، وهذا أمر يحتاج إلى قدر من التدبر والتأني ومراعاة عدة سمات أساسية تميز الجملة القوية من الجملة الركيكة.

وقبل الحديث عن السمات الأساس للجملة القوية نقول إننا لا نعني هنا الجملة النحوية بل نعني الجملة المؤثرة التي تعبر عن فكرة كاملة لا تترك للقارئ مجالا للتساؤل. فالجملة النحوية تتكون من ركنين أساسيين (المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل) ويمكن الاكتفاء بها في حد ذاتها بغض النظر عن

obeikandl.com

اكتمال الفكرة، فجملة مثل «عاد محمد» جملة نحوية سليمة مكونة من فعل وفاعل، ولكن القارئ قد يتساءل: من أين؟ وبذلك تحتاج إلى زيادة تكمل بها الفكرة مثل «عاد محمد من زيارته إلى إنجلترا». ويمكن أن نقيس على ذلك جملا نحوية أخرى مثل جملة الشرط وجملة الجواب، وجملة الصلة، فكل منها جملة في حد ذاتها ولكنها لا تفيد معنى تاما في ذاتها وإنما تحتاج إلى جملة أخرى ليتم المعنى. وفي الإنشاء، نحن نعنى بالجملة المعنوية التى تحمل فكرة تامة.

ولكي نكتب الجملة القوية المؤثرة يجب أن نتنبه جيدا إلى التفرقة التي سقناها بين لغة الحديث ولغة التفكير ولغة الكتابة فقد عرفنا أن لغة الحديث تتميز بأنها مختزلة إلى حد كبير، بحيث قد تكفي الواحدة للدلالة عن معنى تام، وأنها تلقائية لا يتوقف المتحدث عند صياغتها والتأنق في تركيبها، وأنها غير ملتزمة بقواعد النطق السليم أو صحة التركيب النحوي، وذلك كله راجع إلى العوامل المساعدة لاتمام الاتصال بين المتحادثين. وعندما يفكر الإنسان مع نفسه فهو يفكر في لغة، وتتميز هذه اللغة بأنها مختزلة إلى أكبر حد وتتسم بالعمومية حيث يغلب عليها الإحساس أكثر من الدلالة المحددة للألفاظ في الذهن بشكل ضبابي غير واضح المعالم، ولا تتضح من حيث دلالة الألفاظ وقواعد الصياغة النحوية والبلاغية حتى يبدأ الإنسان في وضعها على الورق، أي تحولها من لغة تفكير إلى لغة كتابة في أكمل صورة للغة من حيث النطق وسلامة الألفاظ وصحة الصياغة.

ولكن يبدو أن الكثيرين لا ينتهبون إلى هذه الفروق الجوهرية بين مستويات اللغة فهم لا ينتبهون إلى هذا العمل اللازم لتحويل لغة التفكير إلى

لغة الكتابة، بل يتركون الألفاظ تتدفق مباشرة من الذهن إلى القلم دون مرور بهذه العملية، وكأنهم - وهم يكتبون - ما زالوا يفكرون مع أنفسهم ولكن بصوت عال يكاد المرء يشعر بهؤلاء وهم يصرفون جهدهم في البحث عن الأفكار التي تخدم الموضوع الذي يتناولونه، وقد يتوصلون إلى أفكار قوية تستوعب الموضوع ولكنها تفقد قوتها وتأثيرها على القارئ بسبب سوء صياغة الجمل الناقلة لهذه الأفكار التي لم يتنبه الكاتب إلى أهميتها. وأحيانا أخرى لا يجد الكاتب أفكارا حول الموضوع الذي يتناوله فينصرف ذهنه إلى اصطياد الأفكار، وكلما وجد فكرة نقلها مباشرة من ذهنه إلى سن القلم، وبذلك يخرج بموضوع مهلهل فكرا وركيك صياغة. والمثل الآتي يمثل النتيجة الأخيرة إلى حد كبير. هذا المثال مأخوذ حرفيا من مقال لطالب جامعي:

التنمية وعي المواطن

«التنمية شي جميل لكي يصل بالدولة في مصاف الدول الكبرى ولكي ينمي حجاتها ومتطلباتها ولكي تنافس الدول في المنتجات من الملابس وأدوات وآلات انتاجية وإلى غير ذلك، فنجد كل مواطن يسع إلى أن تكون تولته من مصاف الدول الكبرى لكي يفخر فيها ويباهي بها في مجال التنمية ويتمنا كل مواطن أن يكون أخوانه من المواطنين أن يكون واعين ومتفاهمين في.؟. الدولة وتنميتها.

يجب على المواطن استواعب أو فهم لماذا تعمل الدولة من منشيات ومصانع لجل المواطن وتسعى كذلك من أجله ولكي ينمي حجاته وكذلك لكي لا يعوذ أو يحتاج لشي من خارج الدولة الا فهو موجو في دولته ويستغنى عن متطلبات الاخر من الدولة نجد أنها مستغلة احتياج الدولة لها أو لكي تستفى

لذتنا؟ وجد التولة تبذل المستحيل لكي تنمي المواطن تنمية حسنة وكذلك ليستفيد من المنشيات والمصوعات والنجات من جميع الأصناف».

نكتفي بهذا القدر من مقال الطالب الجامعي الذي يقترب من التخرج، وهو يعطينا مثالا جيدا لكيفية تدفق الكلام مباشرة من التفكير الداخلي إلى سن القلم وكأنه مازال يفكر مع نفسه. فالكلمات مازالت في صورتها الضبابية التي يرددها الكاتب لنفسه بطريقته الخاصة ويرسمها على الورق بالكيفية نفسها دون التزام بالرسم المتعارف عليه بين مستخدمي اللغة. إذا راجعنا النص نجد هذه الأخطاء الإملائية التالية:

وعي	والمقصود	ووعي
شي	والمقصود	شيء
حجاتها	والمقصود	حاجاتها
يسع	والمقصود	يسعى
تولته	والمقصود	دولته
يتمنا	والمقصود	يتمنى
أن يكون	والمقصود	أن يكونوا
استواعب	والمقصود	استيعاب
يعوذ	والمقصود	يعوز
لشي	والمقصود	لشيء
تستفي	والمقصود	نستغني

obeikandl.com

لذتنا	والمقصود	لذاتنا
التوله	والمقصود	الدولة
المصوعات	والمقصود	المصنوعات
والمنجات	والمقصود	والمنتجات
موجو	والمقصود	موجود
لجل	والمقصود	لأجل

هذا بالإضافة إلى أن الكاتب قد أهمل تماما همزة القطع، وهذه لأي طالب جامعي تحسب عليه خطأ إملائيا، كما أهمل نقطتي التاء المربوطة.

ثم إن الكاتب لا يلتزم بقواعد النحو، ففي الجملة الأولى يستخدم حرف النصب «كي» دون أن يسبقها فعل يكون سببا لما بعدها. وكذلك لا يوافق بين المعطوفات فيعطف النكرة «أدوات» على المعرفة «الملابس». ولا يجعل الفعل موافقا للفاعل حين يأتي بعده «... إخوانه من المواطنين أن يكون..»

أما الأخطاء الأسلوبية فلا تكاد تخلو جملة منها، فهو لا يحسن استخدام حروف الجر في مواضعها السليمة «يصل بالدولة في مصاف الدول» والصحيح «يصل إلى»، «يفخر فيها» والصحيح «فخر بها» «... واعين في تنمية الدولة» والأوفق أن يقول «واعين لتنمية الدولة». وأخيرا تأتي هذه العبارة الأخيرة التي تثير الحيرة في فهمها «.. ويستغني عن متطلبات الاخر م الدولة نجد أنها مستغلة احتياج الدولة لها أو لكي يستغني لذتنا ونجد التولة تبذل المستحيل لكي تنمي المواطن تنمية حسنة وكذلك ليستفيد من المنشيات والمصوعات والمنجات من جميع الأصناف». فلو أننا استطعنا تصحيح الأخطاء

الإملائية وتوصلنا إلى معرفة الألفاظ المقصودة لبقينا في حيرة لفهم المعني وما يريد قوله. ويبدو جليا أن الفكرة لم تكن واضحة في فكره فنقلها كما هي على الورق دون تردد ولا محاولة للتأكد من معناها ويمكن أن نقيس على ذلك بقية الجمل وإنما اكتفينا بالمثال الصارخ منها.

من هذا المثال ـ وهو ليس بالفريد ولا الأسوأ بين كتابات طلاب الجامعة ـ يتضح لنا السبب الأول لسوء الكتابة وبخاصة صياغة الجملة، وهو عدم التفرقة بين لغة التفكير ولغة الكتابة. حينما يفكر الإنسان مع نفسه فإنه لا يتوقف، ولا يتدبر ولا يتأنى في صياغة الجمل، بل يفكر في أشباه جمل. أما عندما يجلس ليكتب فلابد من التمهل والتأني والتدبر في صياغة جملة حتى تخرج صحيحة قوية. ولكي تكون الجملة صحيحة قوية يجب أن تتوافر فيها عدة شروط منها:

١ ــ أن تكون الجملة ملتزمة بقواعد النحو

يقرر عبدالقاهر الجرجاني، وهو أحد أعلام البلاغة العربية، أنه لابد من «أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله» فقواعد النحو لم توضع عبثا، بل صرف فيها العلماء جهودهم لضبط اللغة وجعلها وسيلة مشتركة لاتصال المجتمع. ولكن الكثيرين يضيقون بقواعد النحو،ويعدونها من تعقيدات اللغة التي لا طائل وراءها وماذا يحدث لو أهملنا رفع الفاعل ونصب المفعول؟ ولكي نتبين خطأ هذا الظن نضرب بعض الأمثلة لعلنا نتصور عن طريقها ماذا يحدث لو أهملنا رفع الفاعل ونصب المفعول عند قراءة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾. وحين نكتب «ضرب الرجلان الولدان» هل فهمنا شيئاً أكثر من وقوع الضرب؟ وهل عرفنا الضارب من المضروب؟ ثم ماذا يحدث للأذن حين تسمع أو للعين حين تقع على جملة مثل «حضر المهندسين».

لعلنا نلاحظ من تلك الأمثلة السابقة أنه نتج عن إهمال قواعد النحو سوء فهم للآية الكريمة، وغموض في جملة (ضرب الرجلان الولدان)، وشذوذ في جملة (حضر المهندسين) وبذلك عجزت اللغة عن أن تكون وسيلة اتصال جيدة بين الكاتب والقارئ. ولا نود الاستطراد في هذا الموضوع حتى لانخرج إلى غيره. ونكتفى بالقول إنه لا يمكنك أن تكتب جملة سليمة إلا إذا كانت موافقة لقواعد النحو قبل كل شيء.

قال الرشيد يوماً لبنيه: «ما ضرّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يُصلح به لسانه أيسر أحدُكم أن يكونَ لسانهُ كلسان عبده وأمته؟». ومن كلام مالك بن أنَس « الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تَمْنعوا ألسنتكُم حليَّها». ولله درُّ أبي سعيد البصريّ. حيث يقول:

النحوُ يَبْسُط مِنْ لِسَانِ الألكَن ... والمَـرْءُ تُكْرمُـه إذا لـم يَلْحَـن

وإذا طَلَبتَ مـن العُلُوم أجَلَّهـا ... فـأجَلُّهـا عنْدي مُـقِيمُ الأَلْسُنِ

قال صاحب «الريحان والريعان»: واللحنُ قبيح في كبراء الناس وسَرَاتهم، كما أن الإعرابَ جمال لهم، وهو يرفع الساقط من السَّفلة، ويرتقي به إلى مرتبة تُلحقه بمن كان فوق نَمَطه وصنْفه. قال: وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى؛ فإن اللحن يغيَّر المعنى واللفظ ويقلبُه عن المراد به إلى ضدّه حتَّى يفهم السامعُ خلاف المقصود منه. وقد رُوي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[1] بجرّ رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال: أو بَرِئ الله من رسوله؟ فبلغ ذلك عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يَقْرأ القرآن إلا مَنْ يُحْسن العربية. على أن الحسن قد قرأها بالجرّ على القسم، وقد ذهب على الأعرابي فهمُ ذلك

(١) سورة التوبة :٣ .

لخفائه. وقرأ آخرُ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[١] برفع الأول ونصب الثاني، فوقَع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقيل له: يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحداً! فتنبَّه لذلك وتفطَّن له. وسمع أعرابيّ رجلاً يقول: أشهد أن محمداً رسول الله بفتح رسول الله، فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا؟. وقال رجل لآخر ما شانَك؟ بالنصب، فظنّ أنه يسأله عن شين به، فقال عِظَم في وجهي. وقال رجل لأعرابيّ: كيف أهْلِك؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهَّم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلْباً[٢].

٢ ــ أن تكون الجملة موجزة

يقول البلغاء: «خير الكلام ما قل ودل»، وهم يقصدون بذلك ألا تشتمل الجملة على ألفاظ لا تخدم الفكرة أي لا تكون الجملة ممطوطة بحيث تتكون عشرين كلمة مثلا مع أنه يمكن صياغتها في عشر كلمات. ويبدو أن الكثيرين يظنون أنه كلما زادت الكلمات كانت الفكرة أوضح، وينسون أنهم محاسبون عن كل لفظة يكتبونها، وينسون أن القارئ يمل، ويتشتت ذهنه عند قراءة الجمل الممطوطة والنتيجة المؤكدة هي أن تفقد الجملة رصانتها ومن ثمّ قوتها وتأثيرها على القارئ. ويزداد هذا وضوحا عندما نوازن بين العبارتين الآتيتين.

أ) كانت الدراسة في القديم قبل تكوين الجامعات في هذا المجتمع لاتساوي شيئا مما تساويه الآن من معرفة وتقدم وعلم حيث كان الطلاب يدرسون عند الكُتَّاب لدى الشيوخ وليس مثل الآن حيث المدرسون المتخصصون وغيرهم من ذوي الخبرة الواسعة والعلم الموفور، فقد أصبحت الجامعات الآن

---

(١) سورة فاطر: (٢٨)

(٢) صبح الأعشى، القلقشندي ١ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

تدرّس الكثير من العلوم والمعرفة التي يفيد منها الإنسان (الطالب) في جميع المجالات العامة حيث يدرس الطالب سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية كي يفيد وطنه وفي الوقت نفسه يستفيد.

ب) قبل قيام الجامعات كانت الدراسة تقتصر على مرحلة الكُتَّاب، وينقصها التخصص والتنوع اللازمان لبناء المجتمع وتقدمه.

لعلك تلاحظ، بعد قراءة النصين أنهما يقولان الشيء نفسه دون زيادة ولا نقصان، ولكن العبارة الأولى تتكون من ثمان وسبعين كلمة، والثانية تتكون من ست عشرة كلمة، ولاشك أنك تستطيع الحكم على أيهما أكثر قوة وتأثيرا.

ونقدم فيما يلي مثالا ثالثا هو:

«هكذا فإن الجامعات تلعب دوراً مهماً في بناء الوطن وازدهار المجتمعات فالعلم له دور كبير في البناء والتقدم والازدهار وخصوصا التعليم في الجامعات».

وهنا يمكن أن تتساءل عن فائدة الجملة الثانية: التي تبدأ بـ «فالعلم له..» فهذه تبدو عديمة الفائدة تماما ولا تزيد الأولى توضيحا ولا تأكيدا.

٣ ــ أن تكون الجملة واضحة

تخفق الجملة غير الواضحة في تحقيق هدف الكاتب من توصيل أفكاره إلى القارئ والتأثير فيه. ووضوح الفكرة يعتمد، في المقام الأول، على قدر وضوحها في ذهن الكاتب. فالكاتب الذي لا تتضح الأفكار في ذهنه لا يستطيع أن ينقلها إلى الآخرين بوضوح كاف. تأمل في العبارة الآتية:

«وبدأ يقول إن المكان لاقيمة له بالنسبة لأي إنسان وذكر بأن في هذا المكان أوقات مضطربة وبدأ يسأل عما حدث؟ معظم الطلاب مجتمعون وهم يتصايحون ويدخنون، حيث تبين أن هؤلاء من سكان الضواحي».

نلحظ أن تلك العبارة غامضة مفككة، وهذا لا يرجع إلى سوء صياغتها فحسب وإنما يرجع أيضا إلى عدم وضوح الفكرة في ذهن الكاتب وكأنها عبارة مترجمة عن مقال بلغة أجنبية لم يستطع المترجم فهم الفكرة في النص الأصلي.

ولكن وضوح الفكرة في ذهن الكاتب لا يعني وضوحها عند القارئ؛ إذ لابد من صياغتها صياغة واضحة. ولعل عدم الوضوح في الصياغة يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي: طول الجملة الزائد، سوء الربط، ثم الخطأ في وضع علامات الترقيم.

أ ـ طول الجملة الزائد

وهذه سمة تغلب على معظم كتاباتنا، إذ نميل إلى الاسترسال في الجملة مستخدمين ـ عشوائياً ـ كل أدوات الربط، مما ينجم عنه تداخل الأفكار، وإجهاد القارئ في المتابعة. والآن تأمَّل في العبارة الآتية:

«وقد تعرض لذلك المؤرخ (ديماند) عندما ذكر أن من تقاليد الحضارة الإسلامية تبادل الفنانين والصناع وتنقلهم بين شتى بقاع العالم الإسلامي لبناء المساجد والجوامع والقصور والقلاع وغيرها، حيث حققت هذه التقاليد فكرة التآلف والوحدة والإخاء وتطعيم الخبرات بعضها بالبعض الآخر، وحيث ظهرت الوحدة الفنية في الجوهر آخر الأمر متماسكة تستمد روحها من إلهام

واحد مهما تباينت عناصرها وتنوعت أشكالها واختلفت تقناتها ومهما بعدت الشُّقة بين مواقعها، وقال إن هذا الفن العظيم الذي رضع في طفولته شتى الألبان وهام بين مختلف أنواع الفنون والجمال قد استأثر بإعجاب العالم الأوربي وغدا بدوره إلهاماً ومصدراً لاقتباساته الفنية، وقد ذكر المؤرخ في عدة مواقع من المؤلَّف السابق أثر هذه الفن على فنون الغرب الأمر الذي جعل ملوكها يكنزون نفائس الفن الإسلامي ضمن مقتنياتهم».

لاشك أن تلك العبارة تكون أكثر وضوحا، وأسهل متابعة لأفكارها لو عمد الكاتب إلى التقليل من استخدام الروابط، وتقسيمها، وهنا ينبغي تفسيمها إلى عدد من الجمل المستقلة، كأن يقول مثلا:

وقد تعرض لذلك المؤرخ (ديماند) عندما ذكر أن من تقاليد الحضارة الإسلامية تبادل الفنانين والصناع وتنقلهم من شتى بقاع العالم الإسلامي لبناء المساجد والقلاع وغيرها. فقد حققت هذه التقاليد فكرة التآلف والوحدة والإخاء وتطعيم الخبرات ببعضها الآخر. كما ظهرت الوحدة الفنية في الجوهر متماسكة تستمد روحها من إلهام واحد مهما تَتباينُ عناصرها وتَتَنَوَّعُ أشكالها وتختلف تقنياتها وتتسع الشُّقة بين مواقعها. وقال إن هذا الفنان العظيم، الذي رضع في طفولته شتى الألبان وهام بين مختلف أنواع الفنون والجمال، قد استأثر بإعجاب العالم الأوربي، غدا بدوره إلهاماً ومصدراً لاقتباساته الفنية. وقد ذكر المؤرخ في عدة مواضع من المؤلَّف السابق أثر هذا الفن على فنون الغرب الأمر الذي جعل ملوكها يكنزون نفائس الفن الإسلامي ضمن مقتنياتهم.

ب ــ سوء الربط

توضع الروابط في اللغة لكي تصل بين أكثر من فكرة، وهي تخضع لقواعد لغوية محددة في إطار دلالاتها اللغوية، ونحن لانستطيع الاستغناء عنها

في كتاباتنا. ولذلك ينبغي أن نكون دقيقين عند استخدام أدوات الربط وبخاصة عندما نربط بين جملتين أو أكثر. وفي كثير من الأحيان تضطرب الفكرة وتغمض بسبب إساءة استخدام أدوات الربط ووضعها في مكانها المناسب، أو الخروج بها عن المألوف. ولعل المثالين التاليين يوضحان بعض الأخطاء في استخدام أدوات الربط ويكشفان عما يقع من غموض واضطراب في عرض الأفكار.

المثال الأول:

«وإذا وصلتُ إلى هذا الهدف (خبير جولوجيا) فإن الخبير يقوم بالعمل في ميادين علم التربة والتنقيب في خفايا الأرض».

هنا يشعر القارئ باضطراب هذه الجملة وعدم منطقيتها. وسبب ذلك يرجع إلى سوء الربط بين الجملتين، فقد بدأ الكاتب جملته بأداة (إذا) وهي أداة تربط بين جملتين وتفيد الشرط لما يستقبل من الزمان. ومن ثَمَّ توقعنا جملتين، الأولى تشتمل على فعل الشرط، والثانية تتضمن جواب الشرط، وكل الجملتين تفيد أن الحدثين سيقعان حيث يصبح المتحدث خبيرا في الجيولوجيا ولكن ماذا يحدث إذا وفقه الله إلى تحقيق هدفه؟ أي أن جواب الشرط غير موجود، فهل الجملة الثانية تفيد ماذا سيحدث له عند تحقيق هدفه؟ ما علاقة وصوله إلى تحقيق هدفه وبين أن الخبير يقوم بأعمال التنقيب؟ ولعل صحة الجملة أن يقول:

«وإذا وصلتُ إلى هذا الهدف (خبير جولوجيا) فسأقوم بالعمل في ميادين علم التربة..».

المثال الثاني:

«ولكننا نجد أن غريزة أخرى تنافس الغريزة ألا وهي[١]*غريزة حب التملك فتلك الغريزة في نظري أقوى غرائز النفس البشرية ـ فهو[٢] بطبيعته ميال إلى امتلاك ما أحبته نفسه ـ فهو[٣] عندما يحب فتاة جميلة ـ فإنه[٤] يسعى المستحيل للزواج منها فالإنسان[٥] طبع على امتلاك الأشياء المحببة إليه[٦] فإذا كانت هذه الأشياء صعبة المنال طويلة الأمد فسينظر[٧] إليها شمعة ستضيء حياته ـ فإن[٨] وصل إليها[٩] فإن حياته ستضيء من جديد».

هذا النص مأخوذ من مقال طويل يسير على الطريقة نفسها وهو يبين لنا ماذا ينتج عن الاسترسال في الكتابة دون ترتيب لما نود قوله. نستطيع تصور هذا الكاتب عندما كتب، لقد أمسك بالقلم وترك الكلمات تتدفق مباشرة من فكره إلى القلم وبذلك خرجت الأفكار مضطربة غامضة مفككة، مكتفيا بتلك الفاءات المتلاحقة ظنا منه أنها سلسلت الأفكار وربطت بينها ولكنه وقع في عدد من الأخطاء التي ماكانت تقع لو أنه تمهل وتدبر قليلا قبل أن يشرع في الكتابة. يقول في السطرين الثاني والثالث «فهو بطبيعته ميال إلى امتلاك كل ما أحبته نفسه» ثم يعود في السطر الذي يليهما مباشرة ويقول «فالإنسان طبع على امتلاك الأشياء المحببة إليه». ولعل القارئ يتساءل عن فائدة الجملة الثانية وهي ترديد للفكرة التي في الجملة الأولى. وسيجهد القارئ نفسه في معرفة على من تعود في هذا النص الضمائر: (فهو، بطبيعته، فهو، فإنه،) وكذلك الغموض في اسم الإشارة (تلك) حيث استخدمها للإشارة إلى الغريزة السابق ذكرها (الإيثار) ويستخدمها في الوقت نفسه للإشارة إلى الغريزة

* الأرقام المذكورة تشير إلى تعدد الضمير.

الأخرى المنافسة والأقوى (حب التملك). ولذلك نجد غموضا في المشار إليه بتلك الثانية. ولقد تبدو عوائد الضمائر واضحة في ذهن الكاتب، لكنها ليست بالوضوح نفسه في ذهن القارئ، بل قد يضطرب ذهنه إلى أن ينتهي من قراءة العبارة كلها حتى تتضح له عوائد الضمائر وأسماء الإشارة.

ولاشك أن القارئ سيتشتت ذهنه مع هذه الفاءات المتلاحقة وسيتساءل عن وظيفة كل منها. الفاء، ـ كما نعرف ـ حرف عطف يفيد الترتيب والتعاقب في مثل قولك «خرج زيد فعمرو فعلي»، ومثل قولك «دخل زيد فجلس إلى مكتبه». وهي تفيد أيضا السببية، وبخاصة عند عطف الجمل، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾.

والآن ننظر في الفاءات التسع الواردة في ذلك النص. نجد أن الفاء الأولى لامكان لها. فالجملة الثانية ليست سببا للأولى أو نتيجة مترتبة عليها، ولادالة على حدث وقع بعد الحدث في الجملة الأولى، بل في الجملتين حُكمان تقريريَّان يمكن عطفهما بالواو. أما الفاء الثانية فهي في مكانها الصحيح إذ تعد الجملة التالية سببا للفكرة في الجملة السابقة عليها. أما الفاء الثانية فلا مكان لها، إذ أن الجملة التالية تعدّ بدل جزء من كل يفسر ما جاء حكماً عاماً في الجملة السابقة ومن ثَمَّ لا تعطف. أما الرابعة فإنها واقعة في جواب (عندما) وهذا واجب، أما الفاء الخامسة فقد رأيناها في جملة بينا أنها زائدة ولا تخدم غرضا في العبارة. أما الفاء السادسة فينطبق عليها الحكم في الجملة الأولى إذ ليس هناك علاقة سببية أو ترتيبية بين الجملتين أما الفاء السابعة فضرورية لوقوعها في جواب الشرط. في حين يجوز الإبقاء على الفاء الثامنة على أساس أن الجملة التالية مترتبة على السابقة، وإنما يحسن حذفها منعا للتكرار الذي

يفسد الأسلوب. أما الفاء التاسعة فصحيحة لأنها واقعة في جواب الشرط وهكذا، نجد أن خمسا من الفاءات التسع لامكان لها، وحتى تتضح الصورة أكثر نعيد قراءة العبارة نفسها بعد حذف الروابط الزائدة غير المناسبة:

ولكننا نجد أن غريزة أخرى تنافس تلك الغريزة ألا وهي غريزة حب التملك. هذه الغريزة، هي أقوى غرائز النفس البشرية. فالإنسان بطبيعته ميال إلى امتلاك كل ما أحبته نفسه. عندما يحب فتاة جميلة فإنه يعمل المحال للزواج منها. وهنا، وإذا كانت هذه الأشياء صعبة المنال طويلة الأمد فسينظر إليها كشمعة تضيء حياته، إذا وصل إليها تضيء حياته من جديد...

جـ ـ الخطأ في وضع علامات الترقيم

وضعت علامات الترقيم لمساعدة القارئ والكاتب على تحديد علاقة بعض أجزاء العبارة ببعض. ولها قواعدها المتعارف عليها بين الكاتب والقارئ. إلاّ أن الكاتب قد يهمل وضع علامات الترقيم عن جهل بها أو عدم اكتراث. وينتج عن هذا غموض أو اضطراب في الفكرة عند القراءة. انظر إلى النص الآتي، وهو مكتوب بخط الكاتب نفسه:

«والآن فلننظر إلى الأمام نظرة ملؤها الأمل. لنبدد الهموم ونطرد شبح القنوط وآلام الانتكاس. لأننا شباب قد فتحت لنا الدنيا ذراعيها مستقبلة لنا مرحبة بطموحنا للبناء والتطور والتقدم».

لاشك أنك حرت في قراءة هذه الجملة، حين قرأتها وتوقفت عند النقطة الأولى ولكنك وجدت أن الجملة مستمرة، ثم حدث هذا أيضا مع النقطة الثانية. وأخيرا اكتشفت سبب الاضطراب وهو خطأ الكاتب في وضع نقطتين في وسط الجملة نفسها ففصم عراها.

مثال آخر:

«أحد طموحاتي في الحياة، منفعة الوطن من حلال مواصلتي للدراسة. حيث إنني الآن طالب جامعة وقريب من نيل شهادة البكالوريوس، ودراساتي العليا».

لقد وضع الكاتب علامات الترقيم في غير مكانها. ولقد تعارف الناس على علامات الترقيم لتكون عاملا مساعدا لتوضيح الجملة، وإظهار بدايتها ونهايتها، وعلاقة كل جزء فيها ببقية الأجزاء. إلا أن الكاتب هنا جعلها عاملا للاضطراب، فقد أنهى الجملة في غير مكانها. كان يجب أن يضع النقطة في آخر الجملة علامة على نهايتها.

لنقرأ هذا النصّ:

«ليكُنْ أهم ما تصبو إليه حُبّ الحقيقة. فلا تقَدّس القديمَ لِقِدَمِه، ولا الجديدَ لجِدَّته؛ واطلُب الحقيقة لذاتِها، صادفتَ القديمَ أو الجديد، أعَجِبَ الناسُ بكَ أو كرهوك ومقَتوك»(...).

«إنَّ كثيراً من إخوانكَ لا يرغبون في البحث للبحث، ولكن يرغبون في البحث للشهَّادة؛ فخالفْهم، واطلُب البحثَ للبحث» (...).

«ثم لا تَكُنْ مغروراً تعتقدُ أنكَ على حَقَّ مُطْلَق، وأنَّ غيرك، إن خالفَك، على باطلٍ مُطْلَق، بل وَسِّعْ صدرك، فاجعَلْ حقَّكَ يحتملُ الخطأ، وباطلُ غيرك يحتملُ الصواب»[1].

(١) أحمد أمين: إلى ولدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨ .

هذا النصُّ لأحمد أمين(١٨٨٦م ـ ١٩٥٤م)؛ وهو مقتطفاتٌ من «رسالته إلى ولده». تتألف كلُّ فقرة من الفقرات الثلاث من عدَّة جُمَل بُنيَ بعضُها بناءً خَبَرياً، وبعضُها إنشائياً. وإذا أنعمتَ النظرَ فيها، لَرأيتَها تَتَّصلُ بروابطَ من حروف العطف، هي : «الواو» و «الفاء» و «أو» و «لكن» و «ثم» و «بل». هذه الروابطُ التي لا مندوحة عنها في الكتابة الصحيحة، إن حاولتَ أن تُحلَّ إحداها مكانَ الأخرى، لحَدثَ خَلَلٌ في سياق الكلام، وفي معناه.

فـ «الفاء» لا يمكن أن تحلَّ محلَّ «الواو»؛ لأنّها تحملُ، في النصِّ، معنى التعقيب، في حين أنَّ «الواو» تُفيدُ الجَمْعَ في الحُكمِ دونما تعقيب ولا ترتيب. كذلك تحمل «أو» معنى التسوية أو التخيير، و«ثم» العطف مع الترتيب والتراخي. على أنَّ «لكنْ» و«بل» كليهما يُفيدان معنى الاستئناف؛ ولذا يمكنُ أن يتبادلا، وحدهما، المراكز، في وضع النصّ الحالي.

وإذا زدت تبصُّرَكَ في الجُملِ المذكورة، لَرأيتَ بعضَها تخلو بدايتهُ من أيَّ حرف عطف:

١ ـ «صادفتَ القديمَ أو الجديد».

٢ ـ أعجبَ الناسُ بكَ أو كرهوك...».

٣ ـ «ثم لا تكنْ مغروراً

٤ ـ تعتقدُ أنَك على حقَّ مطلق...»

٥ ـ «فاجعلْ حقَّكَ

٦ ـ يحتمل الخطأ،

٧ ـ وباطلَ غيرك.

٨ ـ يحتملُ الصواب».

obeikandl.com

وسببُ خلوِّ هذه الجُمل (١، ٢، ٤، ٦، ٨) من حروف العطف، أنّها إذا دخلَت عليها، أدخَلَتْ معها الفسادَ إلى معانيها، والخَلَلَ إلى مبانيها؛ ذلك بأنّ أوضاعَها تَحْتِمُ عليها الفَصْلَ لا الوَصْل. فالجملةُ الخَبرية لا تُعطَف على الجملة الإنشائية، والجملة التي تكونُ في معناها بَدلاً عما قبلها، لا تُعطف عليها (٣ + ٤)، وكذلك الجملة التي لا تُشارك ما قبلها في الحُكم، وإن تكن من الصيغة نفسها (١ و ٢).

وفي اللغة العربية عددٌ غير قليل من أدوات الربط بين الجُمل؛ منها أحرفُ العطف، وهي تسعة: الواو، الفاء، ثم، حتى، أو، أم، بل، لا، لكنْ؛ ومنها عددٌ آخر للوصل بين العبارات، كأسماء الموصول، وحيث، وكما، ولاسيّما، وعلى أنَّ، وبما أنَّ، ولذلك إلخ... وبينها جميعاً تنفردُ «الواو» بدور مُهِمّ خاص؛ ذلك بأنها لا تقتصر على الربط بين الجملتين فقط، بل تتعدى ذلك إلى إشراك الجملة الثانية في حُكْمِ الأولى.

خلاصة:

ينبغي على الكاتب أن يفرق ـ بادئ ذي بدء ـ بين لغة التفكير، ولغة الحديث، ولغة الكتابة، فلكل منها طبيعة تختلف عن الأخرى. وتتميز لغة الكتابة بأن يستخدم اللغة في أكمل صورة لها، ذلك لأنه يخاطب إنسانا غائبا خاليَ الذهن. ومن ثَمَّ يجب على الكاتب أن يحوِّل ـ عن تَدَبُّر وتأمُّل ـ اللغة التي يفكر بها إلى لغة كتابة، فتكون جمله موافقة لقواعد النحو التي وضعت لتضبط اللغة بين المتعاملين بها. وتكون بقدر المستطاع تامة المعنى بحيث يعرف الكاتب قيمة كل لفظة ووظيفتها في إيضاح الفكرة المتضمنة في الجملة. وتكون

واضحة، فهدف الكاتب هو توصيل أفكاره إلى القارئ في يسر وسلامة لا أن يجهد القارئ في متابعته.

وحتى تكون الجملة واضحة يجب أن تكون محددة الفكرة، فلا يُفرطُ الكاتب في رَصِّ مجموعة من الأفكار الفرعية داخل الفكرة الرئيسة، كما يجب على الكتاب أن يكون حدرا في استخدامه لأدوات الربط وفي وضعها المناسب.

وأخيرا، عليه أن يأخذ علامات الترقيم بجدية وحذر حتى إذا استطاع الكاتب أن يكتب الجملة الصحيحة والموجزة والواضحة فإنه يمتلك مقومات الفقرة السليمة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الفقرة

- الشكل الخارجي للفقرة
- طول الفقرة
- البناء الداخلى للفقرة
- خلاصة

الفقرة قالب من التعبير الإنشائي تتألف من عدة جمل جيدة، وتتناول فكرة رئيسة واحدة، ويمكن أن تقوم الفقرة بذاتها عندما تتناول فكرة واحدة مستقلة. ويمكن أن تكون وحدة في مقال يعالج موضوعاً يشتمل على عدد من الأفكار الرئيسة.

وفي هذا الفصل نتحدث عن الفقرة من حيث كونها وحدة مستقلة بذاتها، ثم بكونها وحدة في مقال.

وسنحاول التعرف على السِّمات المميزة للفقرة الجيدة مع إعطاء نماذج مختارة توضح المقصود.

obeikandl.com

الشكل الخارجي للفقرة

تتميز الفقرة بشكل خارجي متعارف عليه. ويجب أن ننتبه إليه دائما عندما نكتب. تبدأ الفقرة بترك فراغ أبيض من أول السطر (سنتمتراً واحدا) وتنتهي بنقطة في آخرها. ويتكرر هذا مع بداية ونهاية كل فقرة. وهكذا تبدو الفقرات على الصفحة من حيث شكلها الخارجي:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والسبب وراء هذا الشكل الخارجي هو وضع علامة مميزة للقارئ بأنه يبدأ فكرة رئيسة تظل معه حتى يصل إلى النقطة في آخر الفقرة. ثم تبدأ فقرة جديدة إيذانا للقارئ بالانتقال إلى فكرة رئيسة أخرى وهكذا. إن هذه العلامات المميزة لشكل الفقرات الخارجي هي بمثابة أبواب الحجرات المكونة للمبني الواحد. وعدم وجودها يكون بمثابة بناء منزل بدون أبواب لحجراته. ولكن بعض الكتاب يقعون، أحيانا، في خطأ تقسيم الفقرة الواحدة إلى عدة أجزاء، فتبدو كما لو كانت عدة فقرات. انظر إلى الفقرة التالية:

obeikandl.com

«وثمة عدة أنواع مشهورة من الحيتان، وهي التي يجري الصيادون وراءها في البحار. منها الحوت ذو الزعنفة وهو ضخم الجثة يستخرج منه نحو مائة برميل من الزيت، ويتميز بزعنفة فوق ظهره، ويسير في تجمعات كبيرة.

ومنها الحوت الحقيقي، ويبلغ طوله نحو خمسة وعشرين مترا وهو غني بالزيت وبعظام مصفاة الفك التي تستخدم في الصناعة تحت اسم «البالين» لصلابتها ومرونتها.

ومنها الحوت الأزرق وهو أكبر الحيتان حجما ويكثر في المياه الباردة الجنوبية وقد يصل طول الحيوان منه نحو ثمانية عشر مترا، ويستخرج منه مائة وأربعون برميلا من الزيت.

ومنها الحوت الأحدب وطوله نحو اثنين وثلاثين مترا، ويستخرج منه نحو ستين برميلا من الزيت، ولما كان قليلاً فقد حدد صيده بثلاثة أيام فقط في السنة».

هذه السطور تتناول هنا فكرة رئيسة واحدة هي أشهر أنواع الحيتان ومجرد ذكر أسمائها وسماتها الرئيسة. ولكن المؤلف قسمها إلى أربع فقرات مما جعل القارئ يتوقع عند بداية كل منها الانتقال إلى زاوية أخرى عن الحيتان ثم يجد نفسه مع الفكرة نفسها عن أنواع الحيتان. وهذا تقسيم مفتعل للفقرة الواحدة يجب تلافيه حتى لا يقع الكاتب والقارئ في اضطراب فكري.

طول الفقرة

ليس هناك مقياس محدد لطول الفقرة. فالفقرة تتناول فكرة رئيسة واحدة ومن ثم، يعتمد طول الفقرة على طبيعة فكرتها. إذا كانت الفكرة بسيطة فإن الفقرة تميل إلى القصر. أما إذ كانت الفكرة معقدة وتحتاج إلى قدر كبير

من العرض والمناقشة فإن الفقرة تميل إلى الطول إلى حد ما. ولكن يجب أن نتذكر القاعدة الأساسية التالية: ينبغي ألا تكون الفقرة قصيرة بالقدر الذي يجعل الفكرة الأساسية غير واضحة أو غير وافية. كما يجب ألا تكون الفقرة طويلة بالقدر الذي يجعل فكرتها الأساسية مضطربة ومتشابكة مع أفكار رئيسة أخرى. انظر إلى الفقرة التالية:

«ونظرا لأن تعليم الكبار يتوخى تنمية شخصية الكبير تنمية شاملة فمن هذه الناحية يُعرِّف ستانلي موارد تعليم الكبار بأنه «برامج تعليمية مخططة ومنظمة تساعد الكبار على تحمل مسئولياتهم الفردية والاجتماعية».

نلاحظ أن هذه الفقرة قصيرة إلى درجة جعلتها غير واضحة، فهي لاتذكر أكثر من فكرتها الرئيسة دون شرح أو تفصيل أو مناقشة، واكتفت بهذا الحكم العام الشامل. في المقابل، انظر إلى الفقرة التالية.

«ومن يمعن النظر في المعاني اللغوية للكلمات في الأدب يجدها تتحور في ثنايا تركيبها في الجمل والعبارات، وكأن لها جانبين: جانبا لغويا فرديا وجانبا لغويا جمعيا. وقد تظل في الجماعة الجديدة دالة على معناها الفردي، وقد تدل على معنى جديد جاءها من اجتماعها بأخوات لها، فتتعدل حسب اجتماعها وحسب ما يتطلبه هذا الاجتماع والكلمات بذلك تشبه أصحابها إذ يغلب أن تتغير أفكارهم حين يصبحون أعضاء في جمعية صغيرة أو كبيرة. ولا ينكر أحد قيمة الكلمات فهي كل ما بأيدينا عن العلم والحضارة الإنسانية، غير أنه ينبغي أن يستقر في أذهاننا أنها ـ مع اعتماد الإنسان عليها منذ نشأته الأولى في الإفصاح عن انفعالاته وأحاسيسه ـ تقصر قصوراً شديداً عن تمثيل مافي نفسه. وهي لذلك تشبه في المجال الأدبي رموزا، ترمز وتشير من قريب

أو من بعيد، وكأن الأساس فيها الرمز والإشارة. وقد كان الناس في بداية حياتهم الإنسانية يعيشون معيشة رمزية خالصة، وهي تتجلى بوضوح في عباداتهم، ولا يزال كثيرون منهم وبخاصة في الشعوب المتخلفة يعبدون عبادات رمزية. وحتى اليوم لا يزال هذا الجانب الرمزي القديم حيّا في الأدب وبخاصة في الشعر، ولذلك مظهر واضح يتصل به هو كثرة الشروح والتفاسير التي ألفت حوله، ولأسلافنا جُهد خصب فيها، وكأنهم تنبهوا إلى الرمز في معانيه وأنها لذلك تفتقر إلى غير قليل من الشرح والتوضيح لما تختزن من أسرار خفية تجعل لها ظاهراً مكشوفاً وباطناً مستوراً. ولعل شعورهم بذلك هو الذي جعلهم يضيفون إلى شروح الأشعار المناسبات التي نظمت فيها أو أنشدت، حتى يلقوا عليها بعض الأضواء التي تفيد في توضيح معانيها، واتسعوا في ذلك فترجموا للشعراء. وكأنهم يريدون أن يضعوا تحت أعين الناس كل ما يمكن من معارف تتصل بالشاعر وشعره، حتى تساعدهم على الفهم الدقيق لكل ماراوده من خواطر وخوالج وجدانية. وأضافوا إلى ذلك كثيرا من الملاحظات البيانية والموسيقية حتى يتكامل الفهم ويتضح البيان. واتسع الغربيون المُحدَثُونَ بهذا الإحساس، فأخضعوا الأدب لمناهج العلوم الطبيعية والإنسانية والفلسفة الجمالية والدراسات النفسية، مما سنعرض له في غير هذا الموضع بشيء من التفصيل».

هذه الفقرة مثال لطول الفقرة الزائدة علي الحد، وقد نتج عن ذلك اضطراب وتداخل في أفكارها. فهي تحتوي على أربع أفكار رئيسة أبرزت بخط كبير. وكان ينبغي على الكاتب أن يعالج كلا منها في فقرة مستقلة حتى يستطيع القارئ استيعاب ما يريده على الوجه الأكمل، وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً، والأفكار أكثر تسلسلاً وتتابعاً.

على أية حال، حاول أن تجعل الفقرة معقولة في طولها لا بالقصيرة ولا بالطويلة. وتميل الفقرة إلى القصر في الصحف حيث تكون الأعمدة ضيقة واللغة موجزة. أما في الكتب والمقالات فإنها تميل إلى الطول نسبيا. وعادة لا تتجاوز الفقرة حوالي مائة كلمة. إذا وجدت أن الفقرة ستطول بعض الشيء، فحاول أن تتناول الفكرة الرئيسة في فقرتين كأن تتناول تلك الفكرة من زاويتين بدلا من زاوية واحدة.

البناء الداخلي للفقرة

وهنا نصل إلى المطلب الأساس في كتابة الفقرة، وهو يتعلق بالمقومات الأساس لسلامة بنائها الداخلي. وينبغي أن نوجه اهتماما خاصا إلى هذه المقومات ولكي نخرج بفقرة واضحة قوية مؤثرة يحسن أن تكون الفقرة محددة، ومترابطة وسلسة. وسنعرض بالشرح لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة، مع تقديم بعض النصائح الموضحة.

١ ــ أن تكون الفقرة محددة

قلنا إن الهدف من الفقرة هو التعبير عن فكرة رئيسة واحدة بوضوح وقوة. ولا يمكن أن تتوفر الصفات للفقرة إلا عندما تكون محددة من حيث الموضوع الذي يتمثل في فكرتها الأساسية.

ومن الخطأ حشو الفقرة بعدد من الأفكار الرئيسة إذ ينتج عن ذلك قصور في العرض وتقصير في الإقناع وقد لاحظنا ذلك في الفقرة الطويلة السابقة. وإليك المثال التالي:

إذا أردت أن تصف مدينة الرياض ـ مثلا ـ في فقرة واحدة مكونة من حوالي مائة وسبعين كلمة، فستخرج بصورة مأخوذة من الجو، مكدسة وغير واضحة. كما أنك تتحير في اختيار الجوانب التي تود ذكرها عن مدينة الرياض في هذا الحيز المحدود. وهنا قد تخرج بمثل الفقرة التالية:

مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية جميلة تقع في المنطقة الوسطى من المملكة.(١)* تتميز بمناخ قاري جاف فهي تحتل بقعة في وسط هضبة نجد المرتفعة. والمدينة متسعة العمران فيها أحياء مازالت محافظة على الطابع العربي القديم، كما تضم أحياء حديثة تقارن بأحدث المدن الأوربية.(٢) ويشرب أهل الرياض من عيون كثيرة منتشرة في المدينة وأخرى قريبة منها. وقد سميت المدينة بالرياض لكثرة عيونها وبساتينها ولكن زحف العمران وزيادة السكان جعلت المساحات الخضراء فيها تتناقص.(٣) وهي عامرة بالمساجد القديمة والحديثة في كل زاوية من أرجائها.(٤) وهي ملتقى لأجناس مختلفة من شتى أنحاء العالم. ويتجاوز عدد سكانها المليون.(٥) ويشاهد فيها اليوم حركة نشطة واسعة في مختلف المجالات العمرانية والصناعية والعلمية. ومدينة الرياض ترتبط بأنحاء العالم الخارجي بشكبة من الخطوط الجوية عن طريق مطارها الدولي الذي لا تهدأ الحركة فيه.(٦) كما أنها تشهد حركة علمية نشطة ومزدهرة ففيها الكثير من المدارس والمعاهد والكليات التابعة لجامعتين كبيرتين.(٧) وأهل الرياض يميلون إلى المحافظة على تقاليدهم العربية الإسلامية

(*) الأرقام تشير إلى عدد الفقرات.

رغم ما يتوافر في المدينة من أساليب الحياة الحديثة. إن من يسعده الحظ بزيارة مدينة الرياض سيحتاج إلى وقت غير قصير للتعرف عليها ولن يندم على قضاء هذا الوقت.

هذه الفقرة مكونة من مائة وسبعين كلمة، وعلى الرغم من تجاوز طولها الحد المعقول فإنها لا تقدم صورة كاملة عن مدينة الرياض. إنما قدمت صورة مكدسة متداخلة كالصورة الجوية، وليس هذا هو الهدف المطلوب. تأمل في عدد الأفكار الرئيسة التي تحتاج كل منها إلى عرض وتفصيل، ترى أن وصف مدينة الرياض بهذه الطريقة يحتاج إلى أكثر من فقرة واحدة. وسنحاول الآن تناول الموضوع نفسه من زاوية أخرى، ثم نرى الفرق بين الفقرتين.

جامعة الملك سعود معلم من معالم تطور مدينة الرياض الهائل خلال العشرين عاما الأخيرة. كانت جامعة الملك سعود أول جامعة أنشئت في المملكة. واختيرت لها «الرياض» مقرا، وقد بدأت الجامعة عام سبع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة بكلية واحدة هي كلية الآداب. ثم توالى إنشاء الكليات ذات التخصصات المختلفة لسد حاجة البلد من الكفاءات المؤهلة علميا، اللازمة لنهضتها وتضم الجامعة الآن سبع عشرة كلية تتناول مختلف فروع العلم والمعرفة، ومزودة بأحدث الإمكانات العلمية، ثلاث عشرة منها في الرياض وأربع في القصيم، واثنتان في أبها، وقد أصبحت الآن جامعة الملك خالد بعد أن ضم إليهما كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها. كما أنشئ في الجامعة معهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها إكمالا لرسالتها في خدمة الإسلام. وقد أضيفت كلية جديدة لتواكب التطور العلمي

الحديث هي كلية الدراسات العليا. أما عدد الطلبة بجامعة الملك سعود فقد مرّ بالقفزة السريعة نفسها، إذ تضم الجامعة الآن أكثر من ثلاثين ألف طالب وطالبة سعوديين ومن جنسيات أخرى. وكانت الجامعة قد بدأت بواحد وعشرين طالبا فقط. وتكتمل مسيرة الجامعة بإنشاء مدن جامعية متكاملة في الرياض وفي القصيم وفي أبها. هذا النمو السريع لجامعة الملك سعود يعطينا لمحة عن تطور مدينة الرياض الهائل في مختلف نواحي الحياة.

هذه الفقرة تتكون من مائة وستين كلمة تقريباً. وهي تمتاز عن الفقرة الأولى بأنها تعالج فكرة رئيسة واحدة (أبرزت بخط كبير). وقد أعطى هذا التحديد الكاتب فرصة للتركيز على الفكرة الرئيسة بالعرض والتفصيل والتدليل. ومن ثم خرجنا بفقرة أكثر قوة وتأثيرا وإقناعا للقارئ. ويستطيع القارئ أن يتخيل مدى التطور الذي تمر به مدينة الرياض في النواحي الأخرى. في الوقت نفسه، أعطت هذه الفقرة فرصة للكاتب مايعنيه بتطور مدينة الرياض بدلا من التشتت الذهني والتعميم في الأحكام ومن هذه يتضح مدى أهمية تحديد موضوع الفقرة بفكرة رئيسة واحدة حتى تتكون الفقرة.

٢ ــ أن تكون الفقرة مترابطة

المقصود بكون الفقرة مترابطة هو أن لها وحدة فكرية، ولهذا يجب أن تكون كل لفظة وكل جملة في الفقرة متصلة بفكرتها الأساس اتصالا مباشراً، لأن الخروج على الفكرة الأساس يشتت ذهن القارئ ويصرفه عن متابعة بقية أفكار الكاتب الجزئية. ولنتأمّل الآن الفقرة التالية:

«**اهتم الخلفاء والعلماء المسلمون اهتماما جديا بدراسة الأجسام الفلكية، وتتبع حركاتها، وأوقات ظهورها وأماكنها، والتغير في دجة لمعانها**... إلخ، ولعل من مظاهر هذا الاهتمام أن الخليفة المأمون بنى مرصداً فلكيّاً في بغداد، يعتبره الفلكيون من أول المراصد وأكبرها وقد بُنِيَ لدراسة الأجسام الفلكية وتغيراتها. وقد تابع العلماء المسلمون، ومنهم البيتاني، دراسة الأجسام الفلكية، ومن أهم ما اكتشفه هؤلاء العلماء «نجم الغول». وقد سمي كذلك لأن درجة لمعان هذا النجم تبدو متغيرة على مدى فترات قصيرة. ولقد تبين فيما بعد أن سبب ذلك هو وجود نجم ثان مظلم، بمثابة توأم للنجم المشع، يدور وإياه في المدار نفسه. فعندما لايحجب التوأم المظلم النور عن التوأم المشع يظهر هذا الأخير شديد اللمعان، وعندما يصادف موقع التوأم المظلم، بحيث يحجب قسما من التوأم المشع، يخبو ضوء هذا الأخير وتخف درجة لمعانه. ويتعاقب دوران التوأمين وتتكرر معه بانتظام ظاهرة تغير اللمعان ما بين الشديد والظلمة التامة. وتستغرق هذه الظاهرة بمجملها تسعا وستين ساعة».

حدد الكاتب فكرته الأساس في هذه الفقرة بادئ ذي بدء وهي إسهام الخلفاء والعلماء المسلمين في تطور العلوم الفلكية وجوانب هذا الإسهام الثرية والواسعة إلا أننا نلاحظ أن الكاتب نسي بعد قليل فكرته الأساس واستهواه نجم الغول فاستطرد إلى وصفه وسبب تسميته وما اكتشفه العلم الحديث عنه. ولذلك اقتضب الفكرة الرئيسة، وشتت ذهن القارئ وصرفه عن متابعة ما كان من إسهام المسلمين في مجال الفلك. ففقدت الفقرة ترابطها وقوتها وتأثيرها.

والآن انظر إلى الفقرة التالية، وفيها نلحظ أن كل جملة وكل لفظة تخدم الفكرة الأساسية للفقرة (قد برزت بخط كبير) ولا تخرج عنها. ومن ثمّ توافرت الوحدة وأحكم الترابط فأعطت الفقرة القوة والتأثير.

«العرف ملك المجتمع ولا يمكن أن يكون ملكا للفرد مهما كانت قوته، والحقيقة أن الفرد يحس دائماً أنه عاجز عن تغيير النظم العرفية في مجتمعه، ويحس كما يقول علماء الاجتماع من أتباع المدرسة الفرنسية الظواهر الاجتماعية حتى إنه في النهاية يشعر بأنه مضطر إلى مطابقة الاستعمال الاجتماعي في جميع مظاهر سلوكه، وكل ذلك صادق على النشاط اللغوي للفرد، ينشأ ليجد أمامه مجموعة ضخمة من الكلمات المحددة الأشكال صرفيا، والمحددة المعاني ـ وإن تعددت ـ معجميا. ويتعلم في البيت وفي المدرسة عن طريق المعيارية المتزمتة فيهما كيف يطابق الاستعمال الاجتماعي سواء من ناحية المبنى أو من ناحية المعنى، فأما من ناحية المبنى فإن الفرد يطلب إليه في سبيل المطابقة الاجتماعية أن ينسى كل شيء حتى ميله الذي كان له في البداية إلى أن يقيس في صياغة الكلمات قياسا صرفيا مضطردا يتعارض أحيانا مع السماع. فيعلَّمونه كيف يقول حمراء لا أحمرة وخضراء لا أخضرة وسوداء لا أسودة وهلم جرا.

وأما من جهة المعنى فإنه يُطلَبُ إليه أن يحافظ على الرابطة العرفية بين الكلمة وبين معناها فلا يستعمل الكلمة بمعنى شخصي فردي غير عرفي، لأنه لو فعل ذلك لما فهمه أحد ممن يسمعونه لانفكاك الرابطة في أذهانهم بين اللفظ المسموع وبين المعنى المقصود. وقديما

لقي الشاعر عقوبته الاجتماعية فسخر الناس منه عندما استعمل معاني فردية وقالوا في السخرية منه إن «المعنى في بطن الشاعر».

٣ ـ أن تكون الفقرة سلسة

إلى جانب كون الفقرة محددة ومترابطة ومتوازنة يجب أن تكون سلسة، أي أن تشتمل على حركة منظمة ومنطقية تجعل القارئ ينتقل في يسر وسلامة من جملة إلى أخرى فلا يواجه ـ وهو يقرأ الفقرة ـ بقفزات ولا انقطاع في الأفكار.

هذه السلاسة تعتمد على طبيعة الفكرة التي تتناولها الفقرة. فقد تحتاج إلى وصف أو عرض أو مقارنة أو تحليل، وكل من هذه يحتاج إلى علاقة منظمة معينة توفر السلاسة في حركة الفقرة الداخلية. ولعل من المفيد، على أيّ حال، أن نذكر هنا بعض أشكال الحركة المنظمة داخل الفقرة:

أ ـ الحركة الزمانية.

ب ـ الحركة المكانية.

جـ ـ من التخصيص إلى التعميم.

د ـ من التعميم إلى التخصيص.

هـ ـ من السؤال إلى الجواب.

أ ـ الحركة الزمانية

أما الحركة الزمانية فتعد الأسلوب الأمثل في بناء الفقرة التي تعرض حكاية حدث، أو تسلسلا تاريخيا، أو شرح خطوات إنجاز عمل ما. فأحداث الحكاية أو خطوات العملية تسرد حسب التسلسل الزمني لوقوعها،

obeikandl.com

وهـذا منطقي في مـثل هـذه الحـالـة. وتتـضـح الحـركـة الزمـانيـة في الفقرتين التاليتين:

١ ـ «وكذلك ظلت فارس في أيدي الطاهريين، إبراهيم بن الحسين ابن مـصـعب، وعلى بن الحسين بن شبل حتى سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم حكمها بنو الصفار ٢٥٦ ـ ٢٦١هـ ثم حكمها من الأتراك موسى بن بغا. وفي سنة سبع وثمانين ومائتين حكمها أبو موسى عيسى ابن محمد النوشري، ثم استعادها بنو الصفار إلى أن فتحها عماد الدولة البويهي، واقتسم بنوبويه هذه البلاد، فكان عماد الدولة في فارس والأهواز، وركن الدولة في الري والجبل، ثم جمعها عضد الدولة ابن ركن الدولة وبلغ أقصى اتساع دولة البويهيين في أيامه».

٢ ـ «من الأعمال السهلة التي يمكن أن يقوم بها كل واحد بنفسه إصلاح صنبور المياه. أولا، جهز جلدة مناسبة لمقاس الصنبور ومفتاحا (إنجليزيا). ثانيا، اقفل محبس المياة العام، ثالثا، حل قلب الصنبور مستخدما المفتاح الإنجليزي، برفق ودون عنف. رابعا، أزل بقايا الجلدة القديمة وضع مكانها الجلدة الجديدة. خامسا، أعد تركيب قلب الصنبور، وأحكم ربطه برفق أيضا، ثم افتح محبس المياه العام. هذه العملية السهلة توفر عليك الكثير من الجهد والوقت والمال. وأهم من ذلك أن تحافظ على كل نقطة مياه ثمينة».

ب ـ الحركة المكانية

وأما الترتيب المكاني فهو الأسلوب الأمثل لبناء الفقرة التي تتناول وصف شيء ما (مكان، إنسان، منظر، بناء... إلخ) والكاتب يتتبع في وصفه حركة

عينيه وينبغي أن تكون هذه الحركة منتظمة أيضا. فإذا كان الكاتب يصف شخصا، مثلا، فالمعتاد أن يبدأ من الوجه والرأس، ويتبع حركة عينيه إلى أن يصل إلى الأقدام. وإذا أراد أن يصف منظرًا فإنه يبدأ بالشيء الذي جذب انتباهه أولا، ثم يتدرج في وصف الأشياء الأخرى المحيطة بهذا الشيء الذي بدأ به. المهم، ينبغي أن يتحاشى الكاتب القفزات السريعة فلا يبدأ مثلا، من أقصى اليمين ثم يقفز إلى أقصى اليسار مرة واحدة وهكذا، فهذه نظرة الخائف المضطرب وليست نظرة المتأمل الواعي، انظر إلى الفقرة التالية:

«كان محمد ﷺ وسيم الطلعة، ربعة في الرجال ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، ضخم الرأس، ذا شَعرٍ رَجْلٍ شديدُ سوادِه، مبسوطَ الجبينِ فوقَ حاجبين سابغَينِ منَّونينِ متَّصلين، واسعَ العينَين أدعَجهُما، تشوب بياضهما في الجوانب حمرة خفيفة وتزيد في قوة جاذبيَّتِهما وذكاءِ نظرتهما؛ أهدابٌ طوال حَوَالِك، مُستَوي الأنف دقيقه، مفلَّج الأسنَانِ، كث اللحية طويل العنق جميله، عريض الصدر، رَحْبُ الساحتين، أزهر اللَّون، شَثْنُ الكفَين والقدمين (أي غليظهما)، يسير ملقيا جسمه إلى الأمام مسرع الخطو ثابته، على ملامحه سيماء التفكير والتأمُّل، وفي نظرته سلطان الآمر الذي يخضع الناس لأمره».

تلاحظ في هذه الفقرة الحركة المنتظمة التي اتبعها الكاتب في وصف الرسول الكريم ﷺ.

جـ ـ الانتقال من التخصيص إلى التعميم

أما الانتقال من التخصيص إلى التعميم فيعني أن يعرض الكاتب سلسلة من الجزئيات التي تقود إلى تقرير عام. هذا التقرير أو الحكم يخلصُ إليه الكاتب في نهاية الفقرة أو قريبا من النهاية. وهذا الأسلوب يستعمل كثيرا في الكتابة العملية. وتبدو هذه الحركة في الفقرة التالية:

«لبيان فائدة التجارة الدولية نفترض أن لدينا بلدين أ، ب وسلعتين: القمح والمنسوجات. فإذا كان للبلد (أ) ميزة نسبية في إنتاج القمح تتفوق بها على البلد (ب) إذا حاول إنتاج القمح، وفي المقابل تتفوق البلد (ب) في إنتاج المنسوجات على البلد (أ) إذا حاول إنتاج منسوجاته، فمن الأفضل لكل من البلدين أن يخصص موارده الاقتصادية لإنتاج السلعة التي يتفوق في إنتاجها على البلد الآخر. ثم يقوم كل منهما بتصدير سلعته للبلد الآخر، وبذلك يكون قد أفاد واستفاد واستغل إمكاناته وموارده الاقتصادية بطريقة مجدية. وهذا المثال ينطبق على جميع الدول وجميع السلع. وهكذا نرى أن التجارة الدولية تحقق مكاسب لأطرافها جميعا مادام أن تكاليف الإنتاج وتوافره متفاوت».

د ـ الانتقال من التعميم إلى التخصيص

وعلى العكس من ذلك الانتقال من التعميم إلى التخصيص، وذلك بإعطاء حكم عام في بداية الفقرة، ثم يورد الكاتب الأمثلة والشواهد أو التفسير لهذا الحكم العام وهذا الأسلوب أكثر استخداما في الكتابة على نحو عام، انظر الفقرة التالية:

«والشيء المحقق هو أن الذين يضيقون باللغة الفصحى وينفرون منها ويفزعون إلى ما يسمونه اللغة العامية لا يعرفون اللغة العربية الفصحى حق معرفتها، قبل كل شيء، لأنهم لم يتعلموها كما ينبغي أن يتعلموها. شقت عليهم في المدرسة، ولم يحسن أساتذتهم تحبيبها إليهم، فاتخذوا دروسها وسيلة إلى النفوذ من الامتحان لا وسيلة إلى التعبير عن ذات نفوسهم. وانقطعت الصلة بينها وبين قلوبهم وعقولهم فلم يعرفوا إلا لغة الحديث هذه التي يديرون بها ألسنتهم حين يلقون أصحابهم، وحين يتحدثون إلى الآباء والأمهات والإخوان والأخوات. وربما نشأ عن هذا شيء خطير جدا، وهو أن قصورهم عن العلم باللغة قد اضطرهم إلى القصور عن فهم كثير من العلم الذي كان يلقى إليهم في المدارس والجامعات».

هـ ـ الانتقال من السؤال إلى الجواب

وأخيرا، هناك الانتقال من السؤال إلى الجواب. يبدأ الكاتب الفقرة بسؤال يتضمن الفكرة الأساس. ثم يحاول الإجابة عن هذا السؤال. الإجابة في مثل هذه الفقرة هي بمثابة الجزء المتعلق بالمناقشة. ويخلص الكاتب إلى رأي من خلال الإجابة يضعه خاتمة للفقرة. انظر إلى الفقرة التالية:

«لمن تصفو الحياة؟ كثيرون يسائلون أنفسهم هذا السؤال وكثيرون يعجزون عن الإجابة عنه لأنها تختلف باختلاف تحديدهم لمفهوم السعادة والراحة، الأمر الذي أصبح الاتفاق على تحديده «رابع» المستحيلات إن كانت لاتزال ثلاثة. قال قوم إن السعادة «الصحة» وقال آخرون: إنها «الإيمان» وقال غيرهم إنها في «الطمأنينة»، وهناك من

يراها في «الغنى». خلاف كبير، قد تمضي أجيال وأعمار والناس لم يلتقوا على تحديد لمفهومه للوصول إلى رأي».

بالإضافة إلى هذه الحركة المنظمة داخل الفقرة ينبغي أن تتدفق الجمل في يسر ونعومة بحيث لا تجعل القارئ يحس بفجوة في الفكر، أو قفزات محيرة، أو أنه يقرأ عددا من الجمل المستقلة غير المتعلقة بعضها ببعض. ولتفادي الوقوع في هذا الخطأ ينبغي أن يفكر الكاتب، من البداية، في فقرة متكاملة وليس في جمل مستقلة، أي يفكر لحظة ويكتب جملة ويتوقف، ثم يفكر لحظة ويكتب جملة أخرى ويتوقف، وهكذا، فتكون النتيجة فقرة مكونة من جمل مستقلة مترابطة. انظر إلى الفقرة التالية:

«نجحتُ في المسابقة وتسلَّمتُ العمل. كانت خبرتي لا تتعدى ما حصلته في الكتب. لم أكن معدا لفترة التأقلم العصيبة. سرعان ما أصبحت على شفا الاستقالة. لابد أن رئيسي في العمل قد شعر بحالتي. استدعاني إلى مكتبه وأخذ يحدثني عن واجبات وظيفتي وفرص الترقي في العمل. تبينت أنه ليس هناك قصور عندي أو عيب في الوظيفة. قررت أن أبقي».

هذه الفقرة محددة ومترابطة ومع ذلك فنحن لا نشعر براحة عند قراءتها، نحس أن أفكار الفقرة لا تتدفق في يسر، وأن الجمل غير مترابطة، في هذه الفقرة، علما بأننا لم نغير فيها إلا بوضع الروابط بين الأفكار فسهل عليك متابعتها.

«نجحتُ في المسابقة وتسلَّمتُ العملَ. حتى تلك اللحظة كانت خبرتي لاتتعدى ما حصلته في الكتب، وللأسف، لم تؤهلني تلك الكتب

لفترة التأقلم العصيبة التي لابد أن يمر بها كل موظف جديد. ومن ثَمَّ سرعان ما أصبحتُ ضَجِراً بنفسي وغير سعيد في عملي وصرت على شفا الاستقالة وأحسب أن رئيسي شعر بحالتي، إذ إنه استدعاني إلى مكتبه، وأخذ يحدثني عن واجبات وظيفتي، وكذلك عن الفرص المتاحة أمامي للترقي. ساعدني هذا الحديث كثيرا وتبيَّنت بعده أنه لم يكن هناك قصور لدي ولاعيب في الوظيفة، وقررت أن أبقي».

لاشك أنك تشعر بفارق بين الفقرتين، فأنت تحس أن الفقرة الثانية أكثر ترابطا منها في الفقرة الأولى، ولذلك لاتشعر بالفجوات التي شعرت بها عند قراءة الفقرة الأولى. علماً بأننا لم نغير في جملها إلاّ بوضع الروابط بين الأفكار فتيسر عليك متابعتها.

لقد أدى التفكير الجزئي عند الكاتب الأول إلى إسقاط هذه الروابط ولو أنه فكر في الفقرة على أنها وحدة من الفكر المتسلسل المترابط لخرج تقريبا بالصورة الثانية للفقرة نفسها. ينبغي أن نحافظ على التسلسل والترابط بين الأفكار حتى نوفر على القارئ المشقة في إيجاد الرابطة المفقودة.

ومهما يكن من شيء فإن الكاتب المجيد يشد القارئ دائما إلى الموضوع الذي يتحدث عنه بحسن استخدامه للروابط، وكذلك بدقته في استخدام الضمائر.

أما وقد تحدثنا عن الروابط، يبقى لنا أن نتحدث في الفقرة التالية عن حسن استخدام الضمائر:

«وقفت بنا السيارة عند بحرة. وبحرة هي المحلة الثانية في طريق مكة. وهي تلفت النظر بالأضواء الكثيرة البيضاء المنتشرة فيها دلالة

استعداد مقاهيها البدائية لاستقبال القوافل بها. ذلك أن قوافل الإبل تقطع الطريق بين جدة ومكة عندها وتقضي ساعات الراحة بالنهار أو بالليل فيها. أما السيارات فتجتازها كما تجتاز أم السلم بعد وقفة عند مخفر الشرطة يطلع رجاله في أثنائها على (الكوشان)[1] وقد لا يأبى بعض راكبي السيارات أن يتناولوا فنجانا من الشاي بها».

لو أنك حذفت الضمائر، التي برزت بخط كبير، في الفقرة السابقة لوجدت صعوبة كبيرة في متابعة الموضوع الذي يتحدث عنه المؤلف. وباستخدام الضمائر العائدة ظلت (بحرة) في ذهنك طوال الفقرة وتسلسلت الأفكار عنها دون مشقة. وهذه هي إحدى وسائل الربط بين الجمل والأفكار في الفقرة.

أما الوسيلة الثالثة التي تستخدم للربط أيضا بين الجمل والأفكار في الفقرة فتتمثل في بعض الكلمات والأساليب الرابطة مثل لكن وأما ولأن، ... ومن ناحية أخرى، ومن ثم، وعلى سبيل المثال، ولتوضيح ذلك، وبالإضافة إلى هذا، وأيضا، وعلى العكس من ذلك، ومع ذلك، ... فهذه روابط تجعل الحركة في الفقرة متدافقة وتقلل من الاستخدام الممل لواو العطف ولكي نوضح دور هذه الكلمات والأساليب في تسلسل الفكر اقرأ الفقرة التالية:

«يتضح مما سبق أن تعدد احتياجات الإنسان يختلف طبقا لأهميتها. والاحتياجات ليست منسجمة في مجموعها، وكثيرا ما يحدث صراع داخل الإنسان في إرضاء حاجتين أو أكثر في آن واحد،

(١) الكوشان عبارة عن رسم يؤخذ من المسافرين بين المدن.

وللصراع تأثيره في الإنسان وسلوكه في مثل هذه المواقف التي تتطلب هذا الاختيار أو تلك المفاضلة. احتياج الاعتداد بالنفس الذي يدعو إلى حب الاستقلال، قد يتعارض مع احتياج الفرد الخاص بتوفير الضمان والشعور بالأمن الذي يدعو إلى التبعية. الصراع في تلبية الاحتياجات المتعددة للفرد، قد يؤدي إلى عواقب نفسية بالإنسان، لاسيما إذا اعتقد أن احتياجاته متداخلة. ويتخلص الإنسان من صراع الاحتياجات. وقد يجد لها حلا من خلال اتجاهات متعددة. يجد طريقا لإرضاء هذه الاحتياجات في آن واحد. بغض النظر عن احتياج دون آخر... يعترف بالأمر الواقع ويعمل على إرضاء الاحتياجات طبقا لما يراه مناسبا وفي الوقت المناسب».

عندما نقرأ الفقرة السابقة نحس بأن الأفكار والجمل لا تنساب في يسر وسلاسة وتكاد كل جملة فيها أن تكون مستقلة عن الأخرى. ولعلها أقرب شبها بإجابة الطلاب في الجامعة. فَهَمُّ الطالب هو أن يضع الأفكار ولا يعني نفسه في إيجاد الرابطة بينها. والآن سنرى كيف أن استعمال بعض الكلمات يمكن أن يجعل الفقرة نفسها أكثر يسرا وتسلسلا:

«يتضح مما سبق أن تعدد احتياجات الإنسان يختلف طبقا لأهميتها وهذه الاحتياجات ليست منسجمة في مجموعها وإنه بسبب ذلك كثيرا ما يحدث صراع داخل الإنسان في إرضاء حاجتين أو أكثر في آن واحد. ولهذا الصراع تأثيره في الإنسان وسلوكه، في مثل هذه المواقف التي تتطلب هذا الاختيار أو تلك المفاضلة. فمثلا، احتياج الاعتداد بالنفس الذي يدعو إلى حب الاستقلال، قد يتعارض مع احتياج الفرد الخاص بتوفير الضمان والشعور بالأمن الذي يدعو

بالتالي إلى التبعية وهكذا .. مثل هذا الصراع في تلبية الاحتياجات المتعددة للفرد، قد يؤدي إلى عواقب نفسية بالإنسان، لاسيما إذا اعتقد أن احتياجاته متداخلة. ولكي يتخلص من صراع الاحتياجات، أو يجد لها حلا فإن أمامه اتجاهات متعددة، فإما أن يجد طريقا لإرضاء هذه الاحتياجات في آن واحد، وإما أن يغض النظر عن احتياج دون آخر، وإما أن يعترف بالأمر الواقع ويعمل على إرضاء هذه الاحتياجات طبقا لما يراه مناسبا وفي الوقت المناسب».

خـــلاصة

هذه هي أهم القواعد التي ينبغي إدراكها ومراعاتها عندما نكتب فقرة واحدة تتناول فكرة واحدة. علينا أن نتذكر أن الفقرة وحدة مستقلة من الفِكْر تتناول فكرة أساساً واحدة. ولكي تخرج بفقرة تحقق هدفها من الوضوح والقوة والتأثير في القارئ ينبغي أن تكون الفقرة متميزة عند بدايتها وأن يكون طولها معقولا. كما ينبغي أن تكون فكرتها الأساس واضحة ومحددة في ذهن الكاتب، وأن تكون الفقرة مترابطة بحيث تخدم كل لفظة وكل جملة فيها الفكرة الأساس ولا تخرج عليها. ثم أن تكون الحركة الداخلية في الفقرة منتظمة، والانتقال من جملة إلى جملة سلساً ناعماً. إذا أحسنَّا كتابة الفقرة كان من السهل علينا كتابة المقال.

obeikandl.com

الفصل الخامس

قواعد كتابية وتحريرية

- **قواعد الإملاء**
- **علامات الترقيم**
- **علامات التحرير الفني ومراجعة تجارب الطباعة**

قواعد الإملاء

من المعروف أن «اللغة» عبارة عن مجموعة من الأصوات، ومن تلك الأصوات التى تأتلف فيما بينها تتكوّن الكلمات، ومن مجموع الكلمات تتكوّن الجمل التي لابد أن تدلّ على معنى مفيد.

ومن هنا نستطيع آن نقول إنَّ عناصر أية لغة ـ في الأغلب الأعمّ ـ أربعة هي:

١ ـ الأصوات، أو ما يسمى بحروف الهجاء.

٢ ـ الأبنية أو الصيغ الصرفية، وتدخل في إطارها الكلمات.

٣ ـ التراكيب النحوية، أو الجمل والعبارات.

٤ ـ الدلالة أو المعنى.

obeikandl.com

واللغة العربية لها عدة نظم؛ فلها «النظام الصوتي» الذي تتوزع فيه الأصوات دون وجود أدنى تنافر بين صوت وآخر. ولها «النظام الصرفي» الذي يحتوي على مجموعة من القوانين الصارمة التي تفيد حين صياغة المصدر أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو التصغير أو النسب أو غير ذلك. ولها «النظام النحوي» الذي لا نجد فيه تعارضاً بين قاعدة وأخرى، ويؤدى اتباع هذا النظام إلى عدم الخطأ حين القراءة أو الكتابة أو الإعراب للكلمات والجمل وأشباه الجمل. وتلتقي تلك النظم فيما بينها للتوصل إلى معنى مفيد من الكلام سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً.

ويعد «الإملاء» واحداً من أهم علوم اللغة العربية؛ لأنه الوسيلة الخطية التي نمثل بها ما ننطقه من الألفاظ والعبارات والجمل؛ لذلك نستطيع تعريف الإملاء بأنه التصوير الخطي لأصوات الكلمة التي ننطقها.

الهمزة

وتكون أول الكلمة ووسطها وآخرها.

- **الهمزة أول الكلمة:**

وهي التي ترسم ألفًا، للوصل كانت أم للقطع.

١ ـ همزة الوصل (ويقال لها ألف الوصل):

هي الثابتة ابتداء الساقطة وصلاً في الكلام، وتكون في:

أ) الأفعال: الأمر من الثلاثي: اكتُبْ ـ اجلسْ ـ انهضْ.

وماضي الخماسي وأمره: انتصَرَ ـ اجتمَعَ.

انتصرٌ ـ اجتمعٌ.

وماضي السداسي وأمره: استمتَعَ ـ استخرجَ.

استمتعٌ ـ استخرِجٌ.

ب) الأسماء: اسم الخماسي والسداسي: انتصار ـ استمتاع.

والأسماء العشرة التالية: اسم، ابن، ابنة، ابنم، امرؤ، امرأة، استٌ (ومثناها جميعا)، اثنان، اثنتان، ايمنُ الله.

جـ) الحروف: «ال» التعريف: رأيتُ الرجل يدخل البيت.

٢ ـ همزة القطع:

وهي الثابتة ابتداءً ووصلاً، وهي غير ما تقدم، وترسم ألفا وعليها قطعة صغيرة (رأس عين ـ ء) في حالتي الضم والفتح: أسرة أحمد كريمة، وترسم القطعة تحت الألف في حالة الكسر: إدريس يحب إبراهيم.

• الهمزة المتوسطة:

للهمزة وسط الكلمة حالات تلخصها القاعدة التالية:

ننظر إلى الحركة الهمزة وحركة ما قبلها ونرسم الهمزة على صورة الحركة الأقوى منهما.

وترتب قوة الحركات هكذا: الكسرة فالضمة فالفتحة فالسكون.

١ ـ ترسم الهمزة على صورة الياء إذا كانت مكسورة، أو كان ما قبلها مكسوراً أو كان قبلها ياء مثل:

المهزة مكسورة وقبلها مكسور: تخطئِين لأنك تبطِئين.

الهمزة مكسورة وقبلها مضموم: سُئِل ـ وُئد.

الهمزة مكسورة وقبلها مفتوح: سَئِم ـ يَئِد ـ بَئِس.

الهمزة مكسورة وقبلها ساكن: أسئلة ـ أفئدة.

الهمزة مضمومة وقبلها مكسور: مِئُون ـ يقرِئُك السلام.

الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور: فِئَة ـ رِئَة ـ مِائَة.

الهمزة ساكنة وقبلها مكسور: بِئر ـ ذئب ـ مئذنة.

إذا كان قبل الهمزة ياء: هذا شيْئُك وفيْئك.

إن محبئَك حسن.

هي جريئَة بَريئة.

٢ ـ ترسم الهمزة على صورة الواو إذا كانت مضمومة وما قبلها غير مكسور، أو كان ما قبلها مضموما وهي غير مكسورة:

الهمزة مضمومة وقبلها مضموم: رُؤوس ـ فُؤوس ـ لُؤلُؤُك.

الهمزة مضمومة وقبلها مفتوح: لَؤُمَ ـ رَؤُوف ـ كَؤُود

وقيل في مثل: رؤوس ورؤوف وكؤود إنه يكتفي بواو واحدة. فكتب: رُءُوس ـ فُئُوس ـ رَءُوف ـ كَئود.

الهمزة مضمومة وقبلها ساكن: مَسْؤُول ـ ومرؤوس ـ وتكتبان أيضا: مسئول ومرءُوس ـ أرْؤُس ـ تفاؤل ـ أصدقاؤك.

الهمزة مفتوحة وقبلها مضموم: سُؤَال ـ مُؤَاخذة ـ مُؤَذن.

الهمزة ساكنة وقبلها مضموم: بُؤْرة ـ شُؤْم ـ مُؤْتمر.

٣ ـ وترسم الهمزة على صورة الألف إذا كانت مفتوحة بعد مفتوح أو ساكن، أو كانت ساكنة بعد مفتوح.

الهمزة مفتوحة وقبلها مفتوح: سَأَل ـ زَأَر ـ جَأَر.

الهمزة مفتوحة وقبلها ساكن: يسْأَل ـ يزْأَر ـ مَسْأَلة.

الهمزة ساكنة وقبلها مفتوح: مَأْسدة ـ رَأْس ـ فَأْر.

٤ ـ ترسم الهمزة منفردة (على السطر) إذا كانت مفتوحة بعد ألف أو واو المد، أو كانت مضمومة بعد واو المد، أو وقعت بين ألفين:

الهمزة مفتوحة بعد ألف: عباءَة ـ قراءَة.

الهمزة مفتوحة بعد واو : إن وضوءَك لن يسوءَك.

الهمزة مضمومة بعد واو: وضوءُك ـ ضوءُك.

الهمزة بين ألفين: عباءَات ـ إنشاءات ـ إجراءات.

يجب ملاحظة أن الهمزة المفتوحة إذا جاءت بعد حرف صحيح ساكن وجاء بعدها ألف رسمت ألفاً وفوقها المدة، هكذا (آ):

مرآة قرآن ـ مَلآن ـ ظَمْآن.

شريطة ألا تكون هذه الألف للتثنية، مثل: رزء ـ رزءان ـ جزء ـ جزءان، وإذا كان الحرف قبلها يتصل بما بعده رسمت على ياء: دِفْء ـ دِفئان، ظِمْء ـ ظِمئان، شيء ـ شيئان.

• **الهمزة آخر الكلمة (المتطرفة):**

قاعدة الهمزة المتطرفة أنها ترسم على صورة حركة الحرف قبلها والحركات هي:

الكسرة (ـِ) وصورتها الياء (ي)،

والضمة (ـُ) وصورتها الواو (و)،

والفتحة (ـَ) وصورتها الألف (ا)،

والسكون (ـْ) ولا صورة لها.

١ ـ أمثلة على الهمزة المتطرفة المرسومة على الياء:

شاطِئُ ـ شاطِئٍ ـ كالِئ بارئ ـ شانِئ ـ يخطئُ ـ لن يخطِئَ ـ لم يجئْ ـ يبطِئُ ـ يُقْرِئُ.

٢ ـ أمثلة على الهمزة المتطرفة المرسومة على الواو:

لؤلُؤُ البحر ـ إن تكافُؤَ الفرص مفيد ـ تهيُّؤ ـ امْرُؤُ ـ يجرُؤُ ـ لن يجرؤَ ـ لم يجرُؤُ.

واستثنيت المتطرفة بعد واو مشددة من هذه القاعدة: التبوُّءُ ـ التبوُّءَ ـ التبوُّء، فرسمت منفردة.

٣ ـ أمثلة على الهمزة المتطرفة المرسومة على الألف:

خطَأَ ـ ملجَأ ـ سبَأ ـ قرَأَ ـ يقرَأُ ـ يقرَأْ ـ أخطَأ ـ لجَأ ـ استمرَأ.

obeikandl.com

٤ ـ أمثلة على الهمزة المتطرفة المنفردة بعد ساكن:

دفْ ـ من شيْءٍ ـ جـريْء ـ بريْء ـ سمـاء ـ هواء ـ ضوء ـ وضـوء ـ النشء ـ البُرْءُ ـ الدعاء. ينوءُ ـ يَسُوء ـ يُسيءُ ـ يبوء ـ يضيء ـ أضاءَ.

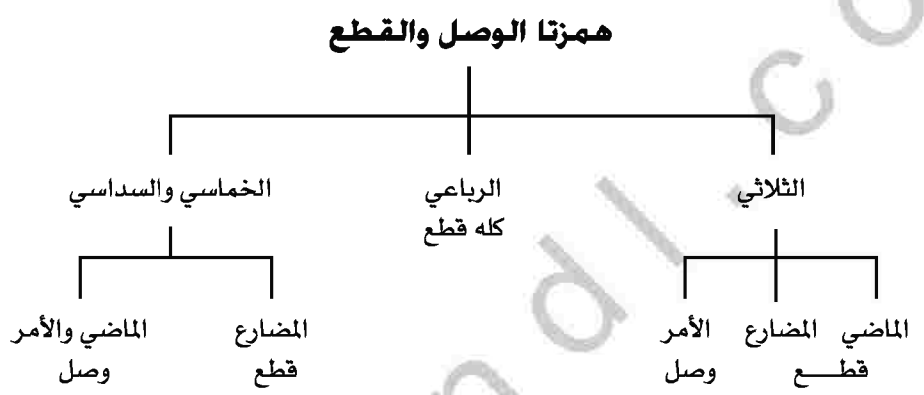

اللاّم الشمسيَّة ـ واللاّم القمريَّة

اللاّم المقصودة هنا لام «أل» التعريف، وتكون عادة في بداية الاسم، نحو الشمس والسحب، والقمر والفلك.

واللام الشمسيَّة: تكتب ولا تلفظ، بل تدغم في الحرف الذي بعدها فيكون مشدَّدًا، مثل: الصَّاحب، الدَّم، السمَّاء، الطَّارق.

وتدخل اللام الشمسيَّة على الحروف التالية وهي أربعة عشر حرفاً:

ت، ث، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ل، ن.

أما اللام القمريَّة: فتكتب وتلفظ، ويكون الحرف بعدها غير مشدَّد، كما نقول: المسجد الحرام، البلد الأمين، القيامة، العصر.

وتدخل هذه اللام على الحروف التالية: وهي أربعة عشر حرفاً أيضاً:

أ، ب، ج، ح، خ، ع، غ، ف، ق، ك، م، هـ، و، ي.

أمثلة على اللام الشمسيَّة وحروفها:

التّرتيب ـ الثَّاني ـ الدَّار ـ الذَّابلة ـ الرَّبيع ـ الزَّاهر ـ السَّاعة ـ الشَّمس ـ الصيَّف ـ الضيَّف ـ الطَّائر ـ الظَّاهر ـ اللَّيل ـ النَّهار.

وأمثلة على اللام القمريَّة وحروفها:

الإنسان ـ الانتصار ـ البارئ ـ الجمعة ـ الحكمة ـ الخيل ـ العليم ـ الغفور ـ الفاضل ـ القارئ ـ الكامل ـ المؤمن ـ الهواء ـ الماء ـ اليقين.

الحركات والضوابط

الحركات أشكال ترافق الحروف لتدلَّ على كيفيَّة نطقها، مثل:

الكسرة: وترسم تحت الحرف، هكذا: (كِ)

والضمَّة: وترسم فوق الحرف، هكذا: (ضُ)

والفتحة: وترسم فوق الحرف، هكذا: (فَ)

والسكون: وترسم فوق الحرف، هكذا: (سْ)

ومن الضوابط التي ترافق الحروف لتدّل عليها أيضاً:

الشدَّة: ترسم فوق الحرف مع إحدى الحركات الثلاث الأولى، هكذا:

هذا عمُّك ـ واتبع عمَّك ـ وامش مع عمِّك.

والمدّة: ترسم عادة فوق الألف، هكذا: (آ).

obeikandl.com

● تنبَّه إلى أن الشدّة لا تكون في أوَّل الكلمة أبداً، وتنبَّه إلى وجوب رسم الشدَّة والمدَّة في الكتابة مع الحروف.

أمّا التنوين فيكون برسم كل حركة من الحركات الثلاث الأولى مرتين في آخر الاسم غير المعرّف بأل:

فتنوين الرفع هكذا: هذه ضمةٌ ظاهرةٌ.

: هذا تنوينٌ واضحٌ.

وتنوين النصب هكذا: رسمتُ فتحةً ظاهرةً.

: رسمتُ تنويناً واضحاً.

وتنوين الجر هكذا: رسمت الحرف بكسرةٍ ظاهرةٍ.

: رسمت الحرف بتنوينٍ واضحٍ.

● تنبيـَه إلى أن الألف تلحق الكلمة في تنوين النصب، إلا في مواضع أربعه، وهي:

الاسم المنتهي بتاء مربوطة، مثل: دخلت مدرسة ورأيت طالبة.

والاسم المنتهي بألف ليّنة، مثل: قابلت فتىً يحمل عصًا.

والاسم المنتهي بألف مهموزة، مثل: ارتكبت خطأً، ودخلت ملجأً.

والاسم المنتهي بهمزة قبلها ألف، مثل: نال جزاءً عادلاً.

أما باقي الأسماء فتلحقها الألف عند تنوين النصب.

مثل : قرأت كتاباً مفيداً.

: أعطيتك شيئاً فأعط أخاك منه جزءاً.

: اشتريت لؤلؤاً وياقوتاً.

obeikandl.com

تاء التأنيث

وهي التاء التي تلحق آخر الكلمة للتأنيث، وهي نوعان:

التاء المربوطة، وصورتها: (ة، ـة).

التاء المفتوحة، وصورتها: (ت).

ونميّز بينهما بأن التاء المربوطة تلفظ هاءً عند الوقف على الكلمة، كأن تقول: معاويهُ ـ شجرهْ، ويكون ما قبلها مفتوحاًدائماً، أما التاء المفتوحة فهي التي تلفظ تاء عند الوقف على الكلمة (أي تبقى على حالها في النطق)، مثل: بنتْ، بيتْ، صوتْ، جامعاتْ، شجراتْ، ومنها، تاء التأنيث التي تحلق الفعل الماضي: شربتْ، أكلتْ.

وتحلق هذه التاء المفتوحة بعض الحروف مثل: لاتَ ـ ربَّتَ ـ ثُمَّتَ، أما ثمَّةَ (الظرفية مفتوحة الأول) فتاؤها المربوطة.

وتلحق التاء المربوطة الاسم المفرد المؤنَث، عدا الثلاثي الساكن وسطه، مثل: شجرة ـ معاوية ـ سيارة ـ هضبة ـ فاطمة ـ نائلة ـ عائشة ـ جامعة ـ علاَّمة ـ راوية ـ نابغة ـ عنترة ـ طلحة.

وتلحق جمع التكسير لما ليس في مفرده تاء مفتوحة.

مثل : ساعي ـ سعاة، داعي ـ دعاة.

: نادي ـ أندية، حادي ـ حداة.

: غلاف ـ أغلفة، عمود ـ أعمدة.

: قرد ـ قردة، فؤاد ـ أفئدة.

الهاء والتاء المربوطة

للتفريق بينهما نصل الكلمة بما بعدها، فإذا لفظنا التاء كانت هي المربوطة بنقطتين (ة ـة) مثل: الكتابة الجيدة ـ شجرة اللوز ـ اشتريت سيارة جديدة، أما إذا لفظنا الهاء فهي غير المنقوطة (ه ـه)، مثل: لفظ الجلالة، الله، وإله، والإله، وأعطيته كتابه، منه له ، عليه، جزاؤه.

● تنبيه إلى وجوب وضع النقطتين للتاء المربوطة، وعدم وضعهما على الهاء.

الألـــف

وهي الألف الليّنة، أو ألف المدّ، ولا تكون في أوّل الكلمة مطلقاً، فهي إمّا متوسّطة فترسم ألفاً دائماً، كما في صام ـ باع ـ كتاب ـ تاجر ـ عصاك ـ فتاك، أو هي متطرّفة وترسم بصورتين، الألف الممدودة، مثل: عصا، دعا، رجا، أو الألف المقصورة (صورة الياء)، مثل: فتى، هدى، اشترى، سعى، ادّعى، استعلى.

ولنتعرّف إلى صورة الألف المتطرفة، وهي ترسم ألفاً ممدودة هكذا: (ا) أو ألفاً مقصورة هكذا (ى) نقول:

هذا الألف تكون في الاسم العربي غير الثلاثي مقصورة، مثل:

مصطفى ـ نجوى ـ كبرى ـ ليلى ـ دعوى ـ بشرى.

إلاّ إذا كان قبل الألف ياء فنرسم الممدودة، مثل:

هدايا ـ يحيا ـ ثريّاً ـ مرايا ـ نوايا ـ دنيا ـ خطايا.

وتكون الألف ممدودة دائماً في الاسم الأعجمي، مثل يافا، طنطا، فرنسا، أمريكا، شبرا، سوريا، وشذّت خمسة أسماء جاءت فيها الألف مقصورة، هي موسى ـ عيسى ـ كسرى ـ بخارى ـ متّى.

أما في الاسم العربي الثلاثي فترسم الألف ممدودة إذا كان أصلها الواو كما في: عصا ـ العلا ـ الربا ـ، وترسم الألف مقصورة إذا كان أصلها الياء، كما في: فتى ـ هدى ـ الهوى.... ولنعرف أصل الألف في مثل هذه الأسماء الثلاثية نثني الاسم، أو نجمعه جمع مؤنث سالماً، فيظهر الأصل، مثل:

عصا ـ عصوان. مها ـ مهوات، فأصلهما الواو.

وفتى ـ فتيان. هدى ـ هديات، فأصلهما الياء.

وترسم الألف ممدودة في الأسماء المبنية، مثل الأدوات : مهما ـ حيثما ـ كيفما، والضمائر: أنا ـ أنتما ـ هما ـ وأسماء الإشارة: هذا ـ هاتا ـ هنا، وشذّت خمسة أسماء وهي: لدى ـ أنى ـ متى ـ أولى (اسم الإشارة)، الألى (الاسم الموصول) فهي بالمقصورة كما نرى.

● تنبه إلى أنَّك إذا أضفت الاسم المنتهي بألف مقصورة إلى ضمير رسمت الألف ممدودة، مثل: هدى ـ هداك، فتى ـ فتانا، هوى ـ هواكم، قِرَى ـ قِراهم.

أما في الأفعال، فترسم الألف مقصورة فيما زاد على الثلاثي، مثل اصطفى، استدعى، أضفى، اشترى، اعتلى، احتوى... ولكن إذا كان قبل الألف ياء رسمت هذه الألف ممدودة، كما في: أحيا، تَزَيَّا، أعيا، استحيا...

أما في الفعل الثلاثي فترسم حسب أصلها، فإذا كان الأصل الواو رسمت ألفاً ممدودة، أو كان الياء رسمت مقصورة، ولمعرفة الأصل نأتي بمضارع الفعل أو مصدره، أو تنسب الفعل إلى ضمير المتكلمّ، مثل:

دعا ـ يدعو ـ فأصلها الواو، فترسم ممدودة.

وكوى ـ يكوي، فأصلها الياء فترسم مقصورة.

وسعى ـ يسعى، سعيا، فأصلها الياء فترسم مقصورة.

وعصى ـ عصيت، فأصلها الياء فترسم مقصورة.

وتقول في الأفعال السابقة: دَعَوْتُ، كَوَيْتُ، سَعَيْتُ.

ومثلها، نهيتُ ـ نهى، نأيتُ ـ نأى، رجوتُ ـ رجا، عفوتُ ـ عفا، أتيتُ ـ أتى، أبيتُ ـ أبى.

وفي الحروف ترسم ألفاً ممدودة، مثل: أما، ألا، لولا، وخلا، حاشا، عدا (حروف الجر)، أمّا، إمّا، إلا ...

وشذّت أربعة أحرف هي: إلى، بلى، حتى، على، فهي بالمقصورة.

● الألف المبدلة من ياء المتكلّم ترسم ممدودة، مثل: يا أسفا، ياحسرتا ، ياويلتا.

الحذف والإثبات

حروف الحذف:

وهي الحروف التي تحذف من الخط وينطق بها، وأشهرها : الألف، والواو، والياء، و«ال» التعريف.

الألف

يجب حذف الألف خطاً من لفظ الجلالة الله، وإله، والإله، والرحمن (علماً على الله جل وعلا)، وتحذف من كلمة: لكن، أولئك، السموات، ومن كلمة «طه» وسطا وطرفا.

obeikandl.com

وتحذف من كلمة «ابن» إذا وقعت بين علمين، ثانيهما أب للأول، مثل محمد بن عبدالله ﷺ، وإذا كان العَلَم الثاني جَدًا أو أمّا فتثبت الألف، مثل: محمد ابن عبدالمطلب وعيسى ابن مريم عليه السلام، وتثبت في «ابن» إذا كانت خبرا، كقولك في جواب من سأل «ابن من محمد؟» تقول : محمد ابن عبدالله. أي هو ابن عبدالله.

وتثبت الألف في «ابن» الواقعة بين علمين ثانيهما أب للأول، إذا جاءت هذه الكلمة أول السطر، مثل: نبينا محمد.

ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

وتحذف الألف من «ابن» في النداء: يابن آدم، يابن الأكرمين.

وتحذف ألف الوصل عموما إذا سبقتها همزة الاستفهام في غير «ال» التعريف، مثل أبنُكَ هذا؟ أسمُكَ محمد؟ أصطفى البنات على البنين؟ أختبارٌ ولم ندرس شيئاً.

أما في «ال» التعريف فترسم ألفاً فوقها مَدة (آ) مثل آلرجلُ قال ذلك؟ ومثل: آلنهار أطول أم الليل؟.

وتحذف الألف من كلمة «اسم» في البسملة كاملة، «بسم الله الرحمن الرحيم» وتثبت في مثل: باسم الله، وباسمي، ونيابة عن زملائي.

وتحذف همزة «ال» إذا دخلت عليها اللام، مثل: لام الجر: قلت لِلرجلِ: «اقترب».

لام الابتداء: «إن علينا لَلهدى» وللمجتهد خير من الكسول.

لام الاستغاثة: يا للرجال.

لام التعجب: يا للهول.

وتحذف الألف متطرفة من «ما» الاستفهاميّة مسبوقة بحرف جرّ، مثل: «عمَّ يتساءلون»، وبم تكتب؟ وفيم تفكر؟ ولمَ تفعل هذا؟

وتثبت إذا ركبت «ما» مع «ذا» : لماذا تسافر؟ وبماذا تقدم أخوك؟

وتحذف من اسم الإشارة «ذا» موصولاً باللام، مثل: ذلك، ذلكما، ذلكم.

وتحذف من «ها» التنبيه مع «ذا»: هذا، هذه، ومع أولاء: هؤلاء، ومع الضمير المبدوء بهمزة، مثل هَأنا، هَأنتم، هَأنذا...

« ال» التعريف

وتحذف «ال» التعريف كاملة إذا سبقت باللام وكان بعدها لام، مثل: الليمون، نقول: لليمون منافع كثيرة.

وكذلك اللهو، نقول: للهو أوان.

وكذلك: اللذان واللتان، نقول: لَلذان اجتهدا أفضل من غيرهما.

وأعطيت الجائزة للتين نجحتا في الاختبار.

الـــواو

وتحذف تخفيفا من بعض الكلمات، مثل: داود، طاوس، هاون.

الياء

تحذف الياء من الاسم المنقوص في حالة تنوين الرفع، والجرّ، مثل: هذا ساع في الخير، ومررت بقاض حسن السمعة.

oberkandl.com

● تحذف حروف العلة من المضارع المجزوم وفعل الأمر:

يسعى: لم يسع، اسعَ في الخير.

يدعو: لم يدعُ، ادعُ الله.

يُجري: لم يجرِ: أجرِ المعاملة.

يُدعى: لم يدعَ، لِيُدْعَ محمد إلى المقابلة.

● وتحذف أيضا من مثل:

صام وكان: صُمْ، ولم يكن.

بات وباع: بِتْ عندي، ولم يبِعْ لي.

خاف وشاء: لم يخَفْ، ولم يشأ.

● وتحذف الواو من أول الثلاثي في مضارعه المجزوم:

وقف : لم يقف.

وضع : لم يضع.

وفي الأمر: قفْ مكانك وضعْ كتابي على الرف.

حروف الإثبات

وهي الحروف التي تثبت في الخط ولا ينطق بها، وأشهرها، الألف، والواو، وتسمّى حروف الإثبات «حروف الزيادة».

obeikandl.com

الألـــف

تزاد الألف في كلمة «مائة»، ومثناها «مائتان و مائتين» ومركّباتها مع العدد من ثلاثة إلى تسعة: ثلاثمائة، أربعمائة، خمسمائة... تسعمائة.

وتزاد بعد واو الجماعة، وتسمى «الألف الفارقة»، مثل: حضروا فيما قدموا شيئاً ولم يعتذروا.

وهذه الألف تفرّق بين واو الجماعة كما تقدم وبين الواو الأصلية في الفعل، مثل: نحن ندعو، وهو يرجو، وهي تدنو منه.

ولا تثبت الألف بعد واو الرفع في جمع المذكر السالم المضاف، كقولنا: معلمو المدرسة هم مربو الأجيال.

وكذلك لاتثبت فيما ألحق بجمع المذكّر السالم وأضيف، مثل: هؤلاء ذوو العدل، وجاء بنو أم البنين.

الـــواو

تزاد الواو ولا تنطق في كلمة «عمرو» إذا كانت مرفوعة أو مجرورة أو منونة بتنوين الرفع والجر، أو منصوبة غير منونة، مثل:

حضر عمرو (تنوين الرفع)

وجلست مع عمرو (تنوين الجر)

وقتل عمروُ بن كلثوم الشاعرُ عمرو بن هندٍ الملكَ، وكانت أمُ عمرو بن هندٍ تريد استخدام ليلى أم عمرو بن كلثوم.

obeikandl.com

وتزاد هذه الواو للتفريق بين اسم «عَمْرو» واسم «عُمَر»، ومنعًا للاشتباه، أمّا في حالة تنوين النصب فلا اشتباه، فهي لا تزاد في عمرو: رأيتُ عَمْراً، وقابلت عُمَرَ. فالثانية ممنوعة من الصرف.

وتزاد الواو في أسماء الإشارة: أولَى، وأولاء، وأولئك.

وتزاد في: «أولو ـ أولي»، بمعنى: أصحاب، وفي: «أولات» بمعنى صاحبات.

ـ أولئك أصحابنا.

ـ هم أولو القوة.

ـ هذه تذكرة لأولي الألباب.

ـ أولات الأطفال أوْلَى من غير هنّ بالرعاية.

● ولا تزاد الواو في الاسم الموصول: « الألى».

نحن الألى فعلوا هذا.

الإدغـــام

الإدغام هو إدخال حرف في حرف؛ فيصبحان في الكتابة والنطق حرفاً واحداً مشدَّداً، وأشير من قبل إلى أن الشدة فوق الحرف تعني أن هذا الحرف مكون من حرفين، وعادة ما يكون أول الحرفين ساكناً.

ومما يدغم في الكتابة والنطق حرف «الميم» في الفعل «نِعِم» مكسور العين، ويدغم في ميم «ما» مثل: نِعِمَّا يعظكم به، وكذلك تدغم نون عن و من «في ميم» مَنْ، مثل: عمَّن تسأل؟ وممَّن الرجلُ؟ وفي ميم «ما» أيضاً مثل: عفا الله عمَّا سبق، وأنفقوا مما تحبُّون.

وكذلك تدغم نون «إنْ» الشرطية في ميم «ما» مثل: إما يحضر محمد فلا تخبره، وفي لام «لا» النافية، مثل: إلا تفعلّه الآن فقد فعلته قبل النوم.

وتدغم نون: أنْ «المصدرية في لام «لا» النافية، مثل: عليك ألا تخطئ، أما نون «أنْ» المخففة من «أنَّ» فلا تدغم في الكتابة، بل في النطق فقط: أشهد أن لا إله إلا الله، وكذلك نون «أنْ» المفسّرة: عرفت أن لا معنى لهذه الكلمة.

وكذلك «ال» التعريف، فإن لامها تدغم في النطق فقط في الحروف الشمسيّة بعدها، فنقول: الشمس، والصيف، والتين، والروح.

الوصل والفصل

الوصل:

معروف أن الكتابة العربية تعتمد وصل الحروف في الكلمة الواحدة، وقد تتكون هذه الكلمة من كلمات وحروف، ولدينا في العربية كلمات لا تقوم بذاتها، مثل بعض حروف الجرّ، كالباء، والكاف، واللام، وحرفي العطف: الفاء والواو، ونوني التوكيد الخفيفة والثقيلة، وهذه الحروف يجب وصلها بالكلمة بعدها أو قبلها.

القاعدة:

«توصل بغيرها كل كلمة لا يصح الابتداء بها، أو لا يصح الوقوف عليها».

ومما لا يصح الابتداء به:

أ . علامة التثنية والجمعين السالمين:

مثل: العاملان ـ العاملتان ـ العاملين ـ العاملتين، والعاملون ـ العاملين ـ العاملات.

فلا نستطيع فصل الألف والنون (أو الياء والنون)، علامة المثنى، ولا الواو والنون (أو الياء والنون) علامة جمع المذكّر السالم، ولا الألف والتاء علامة جمع المؤنث السالم.

ب . الضمائر المتصلة للرفع والنصب والجرّ:

ومثل: ضمائر الرفع: شربتُ ـ شربتَ ـ شربنا، وهي توصل بآخر الفعل الماضي.

ويشربان ـ يشربون ـ تشرَبْنَ.

واشربا ـ اشربوا ـ اشرَبْن

وشربا ـ شربوا ـ شرِبْنَ.

وهي توصل بآخر الماضي والمضارع والأمر.

وتشربين ـ اشربي.

وتوصل بآخر المضارع والأمر.

ومثل ضمائر النصب والجر:

«ياء» المتكلم و «نا» المتكلمين.

قابَلَني صاحبي ـ قابِلني ـ يقابلُني

قابَلَنا أصحابنا ـ قابلونا ـ يقابلُوننا.

obeikandl.com

و «كاف» الخطاب و «هاء» الغائب ومشتقاتهما:

قابَلَكَ صاحبُكَ ـ يقابلُكَ، قابَلَه صاحبُه ـ يقابله.

قابلتُكِ صاحبتكِ ـ تقابلكِ، قابلتها صاحبتها ـ تقابلها.

قابلكما صاحبكما ـ يقابلكما ـ قابلهما ـ صاحبهما ـ يقابلهما.

قابلكم صاحبكم ـ يقابلكم، قابلهم صاحبهم ـ يقابلهم.

قابلتكنّ صاحبتكنّ ـ تقابلكنّ، قابلتهنّ صاحبتهنّ ـ تقابلهنّ.

حـ. تاء التأنيث:

مجموعتنا اجتازت الامتحان بنجاح.

د. نونا النوكيد الثقيلة والخفيفة:

والله لأفعلنَّ هذا الأمر.

افعلَنْ هذا الأمر.

وكلّ ما تقدّم لا يصحّ الابتداء به في الكلام.

أما الكلمات التي لا يصحّ الوقوف عليها فهي:

أ. الحروف المفردة:

مثل الباءِ والكافِ الجارتين، وتاء القسم وبائه، واللام للجرّ والابتداء والسببيّة، والواو والفاء العاطفتين، والسين للمستقبل، والأمثلة على ما تقدّم:

ـ كتبت بالقلم، وسيارتي كسيارتك.

ـ تالله لأفعلنّ، وبالله عليك.

ـ الكتاب لمحمد، ولَعملُكَ أفضل من عمله، وجئتك لأراك.

ـ حضر محمد ومحمود، وقرأت الكتاب فالمجلّة فالقصة.

ـ سأفعل ما تريد.

ب «ال» التعريف، وتوصل بالاسم بعدها:

ـ القلم على المكتب.

جـ. الظروف التي تليها كلمة «إذ» المنونة:

ـ يومئذٍ ـ حينئذٍ ـ عندئذٍ.

د. العدد المركب مع المائة من ثلاثة إلى تسعة:

ـ ثلاثمائة ـ أربعمائة ـ ... تسعمائة.

أما جزء المائة فلا يوصل، مثل ربع مائة أي خمسة وعشرون.

ومما يجب كتابته بالوصل:

كلمة «حبذا» و «لاحبذا» وهي مكّونة من «حب» و «ذا».

وكلمة «لكيلا» وهي لام التعليل و «كي» الناصبة و «لا» النافية.

وكلمة «كيما» وهي «كي» مع «ما» المصدرية: جئتك كيما أتعلم.

وكذلك يجب وصل «لا» النافية مع «إنْ» الشرطية قبلها، وذلك بإدغام النون في اللام.

كما مر في الإدغام: إلاّ.

ويجب وصل «لا» بأنّ المصدريَة: ألاّ.

ووصل «عن ومن» بمَن بعدها: عمّن وممّن.

ووصل «في» بمن وما بعدها: فيمن وفيما.

ووصل «سيَّ» بما في أسلوب: لاسيّما.

وكذلك وصل «ما» بالحروف قبلها مثل: إنّما، كأنّما، ربّما، لكنّما، ليتما، وبالأدوات: كيفما، حيثما، أينما، وأيّ أيّما، وبين المضافة إلى جملة: بينما..

الفصـــــل:

أما الواجب فصله في الكتابة فهو كل ما صحّ الابتداء به والوقف عليه.

وهو: الاسم الظاهر والضمير المنفصل، مثل إنّ هو إلا طالب مثلك.

وكذلك قول الدارسين في التعلم: إنَّ «ما» تكون عاملة وكافة. فهنا يجب فصل «إنَّ»، عن «ما» وقولهم إنّ، «إنَّ» لا تعمل أحياناً فتكون زائدة. والتقدير: إنّ كلمة ما، وإنّ كلمة إنّ...

العـدد

١. يقصد بالعدد الكلمات المصطلح عليها في اللغة للدلالة على كميات الأشياء التي يرمز إليها الرياضيون بالأرقام الحسابية.

مثل: اشتريت ١٥ كتابا　　اشتريت خمسة عشر كتابا

في الصف ٢٥ طالبة　　في الصف خمس وعشرون طالبة.

٢ . أحكام العدد في التذكير والتأنيث:

لتذكير العدد وتأنيثه مع المعدود أحكام معينة هى:

العددان (١،٢) يوافقان المعدود دائما[١] سواء أكانا مفردين أم مركبين أم معطوفا عليهما. مثل:

في الحقيبة كتابٌ واحدا	في الحقيبة مجلّة واحدة.
في الحقيبة كتابانِ اثنانِ	في الحقيبةِ مَجلّتانِ اثنتانِ.
في الحقيبة أحدَ عشرَ كتاباً	في الحقيبة إحدى عَشْرَة مجلة
في الحقيبة اثنا عَشَر كتاباً	في الحقيبةِ اثنتا عَشْرَةَ مجلة.
في الحقيبة واحدٌ وعشرونَ كتاباً	في الحقيبة واحدةٌ وعشرونَ مجلة.
في الحقيبة اثنانِ وعشرونَ كتاباً	في الحقيبة اثنتانِ وعشرونَ مَجلة.

الأعداد المضافة من (٣ ـ ١٠) تخالف المعدود دائما[٢] تذكر مع المؤنث وتؤنث بالتاء مع المذكر) سواء أكانت مفردة أم مركبة أم معطوفا عليها. مثل:

كافأت ثلاثة طلاب	كافأت ثلاثَ طالبات
كافأت ثلاثة وعشرينَ طالباً	كافأت ثلاثاً وعشرينَ طالبة

ـ الأعداد المركبة من (١١ ـ ١٩).

أ) العددان (١١ و ١٢) يوافقان المعدود دائما[٣] بكلي جزأيهما:

---

(١) العدد ١ و ٢ يأتيان بعد المعدود ويعربان نعتا.

(٢) يأتي المعدود معها جمعا مجروراً (مضاف إليه مجرور) وبراعى فيها من حيث التذكير والتأنيث مفرد هذا الجمع.

ملحوظة: العدد (١٠) يكون على عكس المعدود إذا كان مفردا، ومن نوع المعدود إذا كان مركبا.

(٣) يأتي المعدود مع الأعداد من (١١ ـ ٩٩) مفردا منصوبا ويعرب تمييزاً.

obeikandl.com

في المصنعِ أحَدَ عَشَرَ عاملاً في المصنع اثنا عَشَرَ عاملاً

في المصنع إحدى عَشْرَةَ عاملةً في المصنع اثنتا عَشْرَةَ عاملةً

ب ـ الأعداد من (١٣ ـ ١٩) تخالف معدودها في جزئها الأول، وتطابقه في جزئها الثاني.

مثل: وزعتِ الأرباحُ على ثمانيةَ عَشَرَ مساهماً.

: وزعت الأرباح على ثماني (أو ثمان) عَشْرَة مساهمةً.

ـ ألفاظ العقود (٢٠ ـ ٣٠ ـ ٤٠ ـ ٥٠ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٨٠ ـ ٩٠) تلزم صورة واحدة مع المعدود سواء أكان المعدود مذكرا أم مؤنثا.

مثل: استغرقتِ الرّحلةُ واحداً وعشرينَ يوماً.

: استغرقتِ الرحلةُ إحدى وعشرين ليلة.

: استغرقت الرحلة خمسة وثلاثين يوماً.

: استغرقت الرحلة خمساً وثلاثين ليلة.

ـ الأعداد المضافة (١٠٠ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠٠) تلزم صورة واحدة مع المعدود[1] سواء أكان مذكراً أم مؤنثاً، ويستعمل معها الأعداد (١ ـ ٩) بحسب ما ذكر لهذه الأعداد من حكم التذكير والتأنيث.

مثل: تقدمَ للامتحانِ مائةُ طالبٍ.

: تقدم للامتحانِ مائةُ طالبةٍ.

---

(١) يأتي المعدود معها مفرداً مجروراً (مضاف إليه مجرور).

: قَدِمَ إلى البلادِ ألفُ سائحٍ.

: قَدِمَ إلى البلاد ألفُ سائحةٍ.

أنشئت جامعة الملك سعود سنة ألف وتسعمائة وسبع وخمسين.

أنشئت جامعة الملك سعود عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين.

٣. أحكام العدد في الإعراب والبناء:

ـ الأعداد من (١ ـ ١٠) تكون معربة أي ترفع أو تنصب أو تجر على حسب موقعها في الجملة.

ـ العدد (١١) والأعداد من (١٣ ـ ١٩) تكون مبنية على فتح الجزأين.

ـ الأعداد الأخرى تكون معربة.

مثل: في القرية مدرسةٌ واحدةٌ[١].

: ظلت الرؤية متعذرةً لمدة خمس ساعاتٍ[٢].

: اشتريتُ سبعةَ كتبٍ[٣].

: سلّمتُ على أحَدَ عَشَرَ شخصاً[٤].

---

(١) في القرية: شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، ومدرسة: مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه تنوين الضم، واحدة: نعت مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم.

(٢) خمس: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف، ساعات مضاف إليه مجرور وعلامة جره تنوين الكسر.

(٣) سبعة: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف، كتب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره تنوين الكسر.

(٤) أحد عشر: عدد مركب مبنى على فتح الجزأين في محل جر بحرف الجر، شخصاً: تمييز منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح.

obeikandl.com

: نجح اثنا عشر طالباً[١].

كتبت اثنتي عَشْرةَ رسالة[٢].

في الحقل خَمْسَةَ عَشَرَ عاملاً[٣].

حضر عشرونَ طالباً[٤].

أشتريتُ أربعاً وثلاثينَ نَعْجَةَ[٥].

في القاعة مائةُ كرسي[٦].

٤ . تعريف العدد بأل:

لتعريف العدد بأل ثلاثة أحكام هي:

ـ تدخل (أل) على المضاف إليه إذا كان العدد مضافاً.

مثل: حضر خَمْسَةُ المعلمينَ.

: نجحت سبعُ الطالباتِ.

ـ تدخل (أل) على الجزء الأول إذا كان العدد مركباً.

---

(١) اثنا عشر: اثنا فاعل مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى ، عشر :اسم مبنى على الفتح، طالباً: تمييز منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح.

(٢) اثنتي عشرة: اثنتي: مفعول به منصوب بالياء لأنه ملحق بالمثنى، وعشرة: اسم مبني على الفتح.

(٣) خمسة عشر: عدد مركب مبني على فتح الجزأين في محل رفع مبتدأ مؤخر.

(٤) عشرون: فاعل مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

(٥) أربعا: مفعول به منصوب بتنوين الفتح، الواو حرف عطف، ثلاثين: معطوف منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

(٦) مائة: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف . كرسي: مضاف إليه مجرور وعلامة جره تنوين الكسر.

obeikandl.com

مثل: قضينا السبعةَ عَشَرَ يوماً بالطائف.

: قضينا السبع عَشْرَةَ ليلة بالطائف.

ـ تدخل (أل) على الجزأين إذا كان العدد معطوفا ومعطوفا عليه.

مثل : شرحت الستةَ والعشرينَ بيتاً.

: شرحت السّتَّ والعسرينَ جملة.

العدد الترتيبي:

١ ـ إذا صيغ العدد على وزن (فاعل) أفاد الترتيب وسمي عددا ترتيبيا ويصاغ العدد على وزن فاعل من :

ـ الاعداد المفردة من ٢ ـ ١٠).

مثل: ظهرت النتيجة وكان ترتيبي الثالث.

: سأزورك في الساعة الثامنةِ.

ـ صدور الأعداد المركبة.

مثل: قرأتُ الجزءَ الثامنَ عَشَرَ من القرآن الكريم.

: قرأتُ الصَّفْحَة الثالثة عَشْرةَ من هذا الكتاب.

ـ الأعداد المعطوف عليها من (١ ـ ٩):

مثل: سأسافر في اليوم الخامسِ والعشرينَ من الشهر الجاري.

: سأسافر في الليلة الخامسةِ والعشرينَ من الشهر الجاري.

٢ ـ العدد الترتيبي يوافق المعدود من حيث التذكير والتأنيث في جميع حالاته.

obeikandl.com

٣ ـ ينطبق على العدد الترتيبي نفس أحكام العدد في الإعراب والبناء.

٤ ـ يعرب العدد الترتيبي صفة لمعدوده (نعتا) لأنه يقع بعده لاقبله.

فوائد:

١ ـ للعدد (١) لفظان هما: واحد ومؤنثه واحدة، وأحد ومؤنثه إحدى.

أما العدد (٢) فألفاظه هي:

ـ اثنان واثنتان في حالة الرفع.

ـ واثنين واثنتين في حالتي النصب والجر.

وتحذف النون إذ كان العدد (٢) مركباً مع العشرة.

٢ ـ شين العشرة والعشر مفتوحة مع المذكر وساكنة مع المؤنث.

٣ ـ إذا أتى العدد بعد المعدود يعرب نعتا.

علامات الترقيم

عرفنا في الفصل الأول أن اللغة وسيلة اتصال تتم عن طريق أصوات مختلفة النبرات ويصدرها اللسان كلماتٍ منطوقة. وهذا يعني أن اللغة نشأت منطوقة يتفاهم بها الناس شفاها عن طريق الأذن. ثم نشأت الكتابة بعد ذلك، وعلى مراحل، لُتحوِّل الأصوات التي تنطق بها إلى رموز بصرية يتناقلها الناس عن طريق العين. ومع ذلك احتفظت اللغة بخصوصيتها الشفاهية بدليل أن القارئ يعيد تحويل الرموز البصرية أمام عينيه إلى رموز صوتية يرددها في ذهنه وإن لم يجهر بها.

هذه الخصوصية الشفاهية للغة تعيدنا مرة أخرى إلى الفرق بين لغة الحديث ولغة الكتابة. حيث أشرنا من قبل إلى أن لغة الحديث تتميز عن لغة الكتابة بالاختصار، فالمتحدث يتوقف في أثناء الحديث وتكون وقفاته قصيرة متتالية مشيراً للسامع عند كل وقفة بأنه انتهى من فكرة وسينتقل إلى فكرة أخرى أو تكون الوقفة طويلة مشيرا إلى السامع إلى أنه لا يريد إكمال ما بدأه لسبب من الأسباب، أو تكون وقفته الطويلة إشارة بالانتباه إلى ما سيذكره. والمتحدث يضغط على بعض الكلمات معبرا عن تأكيده للمعنى المتضمن فيها. يرفع حاجبيه عند جملة متعجبا أو متسائلا. وأحيانا يشير بيده إلى أن ما يقوله ليس من كلامه بل اقتباس بنصه عن غيره. ونلحظه يخفض يده ويغير من نبرة صوته عند انتهاء الاقتباس وعودته لحديثه. وعلى هذا النحو يلعب الصوت والحركة دوراً أساسياً في إيصال ما يريده المتحدث إلى سامعيه.

ولقد استطاع الإنسان تحويل الكلمات التي ينطقها إلى رموز بصرية وصلت قمتها في الأبجدية التي نعرفها. ومع ذلك بقي جانب آخر من لغة الحديث لم تستطع الأبجدية كما نعرفها نقله إلى القارئ، هو نبرة الصوت وإشارات المتحدث كما رأينا جانبا من دورها في لغة الحديث. وهكذا لم يستطع الكاتب إيصال أفكاره إلى القارئ على النحو المناسب من الوضوح والتأكيد والتعجب كما لو كان قارئا لما كتب. لذلك كان لابد من التَّوصُّل إلى رموز بصرية أخرى تعبر عن هذا الجانب في اللغة المنطوقة ولا تستطيع الأبجدية القيام به ـ فكانت علامات الترقيم من نقطة وشرطة وتنصيص وقوسين (الهلالين) وفاصلة إلى آخر ما سنعرض له بعد قليل.

ويبرز السؤال: هل علامات الترقيم ضرورية لفهم النص المكتوب على الوجه الأكمل؟ أو أنها مجرد عامل مساعد لزيادة النص المكتوب إيضاحاً

وتمكينا في ذهن القارئ؟ وهي بذلك تصبح رهن اختيار الكاتب في استخدامها أو الإعراض عنها وتجاهلها. يَدَّعِي بعضنا أن علامات الترقيم قد تكون ضرورية في اللغات الأوربية كالإنجليزية مثلا، ولكنها ليست ضرورية في الكتابة بالرسم العربي وبخاصة أن اللغة العربية تتميز بأنها لغة مُعَربة. لكل لفظة مكان محدد ومعروف في الجملة المكتوبة. ويستمر هؤلاء في رفض علامات الترقيم بالقول إنها جاءت إلى العربية من اللغات الأوربية من باب التقليد، ولو كانت ضرورية في الرسم العربي لتنبه إليها علماؤنا الأقدمون، ولوضعوا لها علامات واستخداموها في كتاباتهم، ونصوا عليها في قواعد اللغة. جاء في كتاب «صناعة الكتابة» هذا النص : «وكما يتخلل موارد العمارة أمور تمتنها وتزينها... كذلك يتخلل موارد صناعة الكتابة مقويات ومزينات منها علامات الترقيم: كالنقطة، والفاصلة والنقطتان، وعلامة الاستفهام، وعلامة الانفعال... إلخ. ومرد استعمال هذه العلامات إلى الذوق والمران، ولكن العاملين بصناعة الكتابة حددوا مبدئياً، طريقة استعمالها، فقالوا عنها:

(.) النقطة، توضع في نهاية الجملة التامة المعنى، المستوفية كل مكملاتها اللفظية، وكذلك توضع عند انتهاء الكلام وانقضائه.

(،) الفاصلة، وتوضع بعد لفظ المنادى. وبين الجملتين المرتبطتين في المعنى والإعراب...».

هذه الدعوى التي تجعل من علامات الترقيم «زينة» تُتْرَكُ لذوق الكاتب ومدى حاجته إلى تزيين كتابته، تستند إلى دليلين: الدليل الأول يتمثل في طبيعة اللغة العربية بإعرابها الذي يبين موقع كل لفظة، وكل جملة بالنسبة لما سبقها مما لايحتاج معه إلى علامات دخيلة. والدليل الثاني هو عدم التفات علمائنا الأوائل إلى علامات الترقيم. ونبدأ بالرد على الدليل الثاني، الذي

ساقه أصحاب هذه الدعوى. بماذا يفسرون الفصول الطويلة التي عقدها الفقهاء لأنواع الوقف ودرجاته ومواضعه في القرآن الكريم؟ وبماذا يفسرون الفصول التي خصصها البلاغيون الأوائل لأماكن الفصل والوصل في الكتابة والإنشاء؟ أليس هذا شعوراً منهم جميعا بالجانب الصوتي في اللغة الذي لا يمكن للأبجدية بحروفها المعروفة نقله للقارئ. صحيح أنهم لم يتوصلوا ـ في ذلك الزمن ـ إلى كل علامات الترقيم التي نعرفها الآن، إلاّ أنهم ـ بكل تأكيد ـ وضعوا علامات لبعضها مثل (أهـ) لتنصيص، والنقطة عند الفصل اللازم، والقوسين. ومن يطلع على المخطوطات العربية القديمة يجد أمثلة كثيرة لهذه العلامات.

يعود أصل كلمة ترقيم إلى: «رَقَم الكتاب» أي كتبه، أو من «رقَّم الكتاب» بمعنى نقَّطه، ليبين حروفه، أي نقشه وزخرفته[1]. ويتصل الترقيم بالرسم الإملائي اتصالاً وثيقاً؛ فكلاهما من عناصر التعبير الكتابي الواضح والسليم. وكما يختلف المعنى باختلاف رسم الحروف إملائياً في الكلمة، فإن المعنى يختلف، أيضاً، إذا أسيء استخدام هذه الرموز بين الجمل والعبارات[1].

وأول استخدام لعلامات الترقيم في العربية كان في شكل دائرة مفرغة، ثم دائرة مفرغة وبداخلها نقطة (انظر الشكل رقم ١) للفصل بين الجمل. ثم استخدم في بعض المصاحف القديمة حرف الهاء (هـ) علامة وقف بعد كل خمس آيات قرآنية، بوصف هذا الحرف هو الخامس في الأبجدية العربية (انظر الشكل رقم ٢)، وحرف الياء (ي) علامة وقف بعد كل عشر آيات، بوصف هذا الحرف هو العاشر في الأبجدية العربية أيضاً (انظر الشكل رقم ٣).

---

(١) موريس إبراهيم أبوالسعد، الترقيم والوقف: تاريخه، وما هيته، وتطور علاماته عبر العصور؛ المجلد العاشر، الجزء الأول،١٤٥ ـ ١٦٤ (١٩٩٥م).

(٢) محمد شكرى الفيومي، قواعد الكتابة الإملائية، نشأتها وتطورها ط٢ (دبي: دار القلم للنشر والتوزيع) (١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م) ص٣١ .

وانتقلت الدائرة ـ التي كانت تستخدم للفصل بين الجُمل ـ من المصاحف إلى بقية الكتب الأخرى. كما كانت نهايات الأقسام تميَّز بصف من النقط المزخرفة. وفي بعض الأحيان، كانت توضع بعد كل جملة حلية زخرفية قد تأخذ شكلاً هندسياً (انظر الشكل رقم ٤ أ، ب)؛ أو تشبه الطير عند نهاية النص. وفي عصور متأخرة حل تركيب جيد من الأشكال الهندسية الممزوجة مع أوراق أو عقد محل تلك الأشكال التزيينية البدائية، لتمييز نهايات الفقرات الطويلة، وكانت تلك الأشكال تتخذ حجماً كبيرًا.

ظلَّت الدائرة علامة الترقيم الوحيدة المستخدمة في الكتابة طوال القرون التسعة الأولى من الهجرة. ودأب الكُتَّاب على وضع نقطة داخل دائرة (وفي بعض الأحيان يخرج خط من الدائرة).[١] لتحديد موقع الوقف، ومع مرور الزمن تلاشت الدائرة ـ بدافع الإسراع في الكتابة ـ وحلَّت محلها النقطة. ومع بداية القرن العاشر الهجري ظهرت الواو المقلوبة وهي الفاصلة[٠] إلى جانب النقطة، للفصل بين عناصر الجملة الواحدة. أما عن نظام الترقيم الكامل، فلم يدخل إلى العربية إلا في عصر الطباعة متأثرًا بالكتابة الأوربية[٢].

اصطلح العلماء على تسمية هذه الرموز بالترقيم لدلالتها على العلامات والإشارات والنقوش التي تُوضع في كل من النصوص، والأقمشة المطرَّزة. فوجودها يعين القارئ على إجادة القراءة، ويمنحه الفرصة لالتقاط أنفاسه والتأهب لقراءة الجملة التالية. كما تساعده على التعرُّف إلى مواقع الفصل والوقف من الكلام.

---

(١) محمد شكرى الفيومي، قواعد الكتابة الإملائية، نشأتها وتطورها ط٢ (دبي: دار القلم للنشر والتوزيع) (١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م) ص٣١ .

(٢) شعبان عبدالعزيز خليفة، الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م) ص ١٧٢ ـ ١٧٥ .

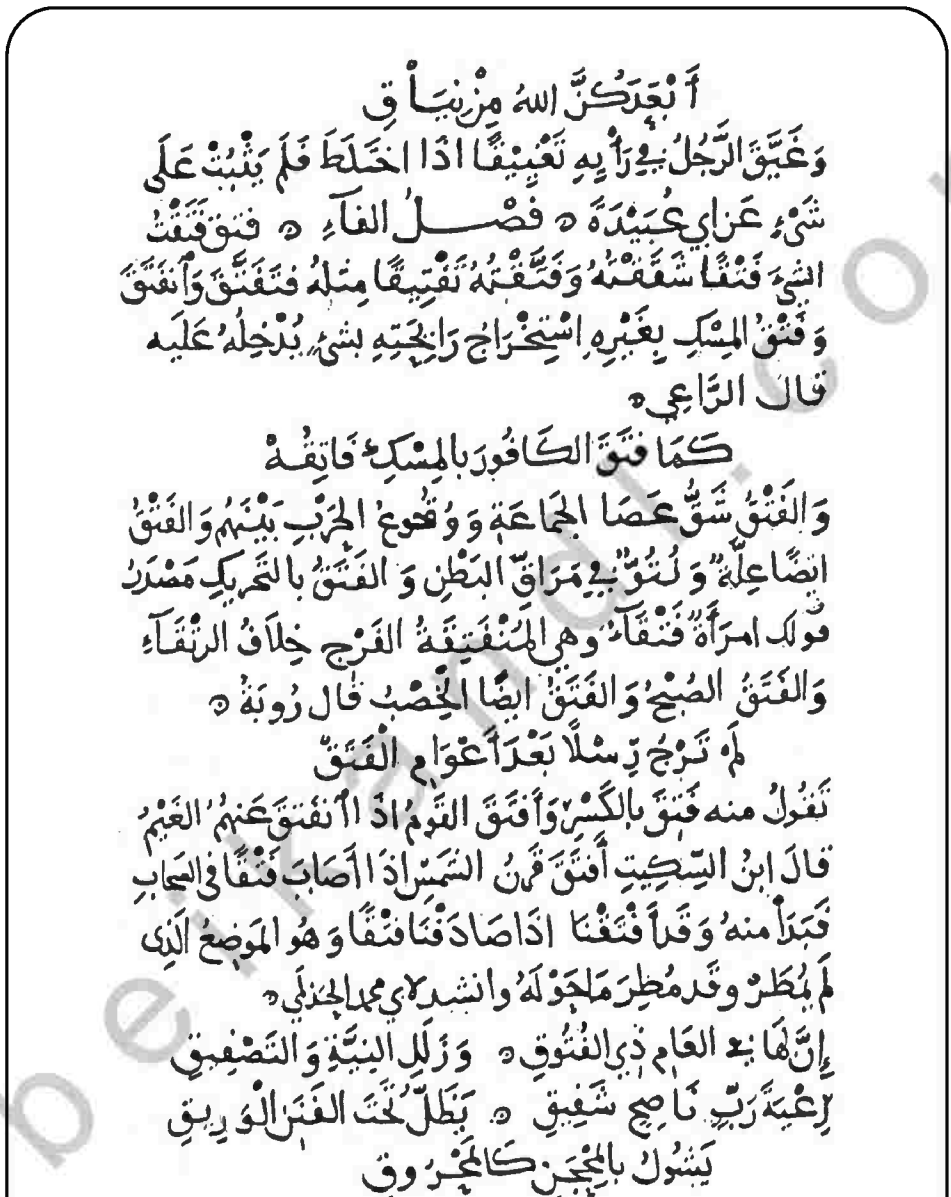
أَبْعَدَكُنَّ اللهُ مِنْ بَيْتٍ فَاقِ
وَغَيَّقَ الرَّجُلُ بِرَأْيِهِ تَغْيِيقًا إِذَا اخْتَلَطَ فَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى
شَيْءٍ عَنِ ابْنِ عُبَيْدَةَ ۞ فَصْلُ الْفَاءِ ۞ فَتَقَ فَتْقًا
الشَّيْءَ فَتْقًا شَقَقْتَهُ وَفَتَّقْتُهُ تَفْتِيقًا مِثْلُهُ فَتَفَتَّقَ وَانْفَتَقَ
وَفَتْقُ الْمِسْكِ بِغَيْرِهِ اسْتِخْرَاجُ رَائِحَتِهِ بِشَيْءٍ يُدْخِلُهُ عَلَيْهِ
قَالَ الرَّاعِي ۞
كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمِسْكِ فَاتِقُهْ
وَالْفَتْقُ شَقُّ عَصَا الْجَمَاعَةِ وَوُقُوعُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَالْفَتْقُ
أَيْضًا عِلَّةٌ وَلُتُوٌّ فِي مَرَاقِّ الْبَطْنِ وَالْفَتَقُ بِالتَّحْرِيكِ مَصْدَرُ
قَوْلِكَ امْرَأَةٌ فَتْقَاءُ وَهِيَ الْمُنْفَتِقَةُ الْفَرْجِ خِلَافُ الرَّتْقَاءِ
وَالْفَتَقُ الصُّبْحُ وَالْفَتَقُ أَيْضًا الْخِصْبُ قَالَ رُؤْبَةُ ۞
لَمْ تَرْجُ رِسْلًا بَعْدَ أَعْوَامِ الْفَتَقْ
تَقُولُ مِنْهُ فَتِقَ بِالْكَسْرِ وَأَفْتَقَ الْقَوْمُ إِذَا أَنْفَتَقَ عَنْهُمُ الْغَيْمُ
قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ أَفْتَقَ قَرْنُ الشَّمْسِ إِذَا أَصَابَ فَتْقًا فِي السَّحَابِ
فَبَدَا مِنْهُ وَقَدْ فَتَقْنَا إِذَا صَادَفْنَا فَتْقًا وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي
لَمْ يُمْطَرْ وَقَدْ مُطِرَ مَا حَوْلَهُ وَأَنْشَدَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْحُذَلِيِّ ۞
إِنَّ لَهَا بِالْعَامِ ذِي الْفُتُوقِ ۞ وَزَلَلِ الْبَيَّةِ وَالتَّصْفِيقِ
رِعْيَةَ رَبٍّ نَاصِحٍ شَفِيقِ ۞ يَظَلُّ تَحْتَ الْفَنَنِ الْوَرِيقِ
يَشُولُ بِالْمِجْمَرِ كَالْمُخَرِّقِ

الشكل رقم (١) صفحة مخطوط تظهر فيه الدائرة المفرغة وبداخلها نقطة لتمثل بدايات استخدام علامات الترقيم

ـ المصدر: كتاب الخط العربي من خلال المخطوطات، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.

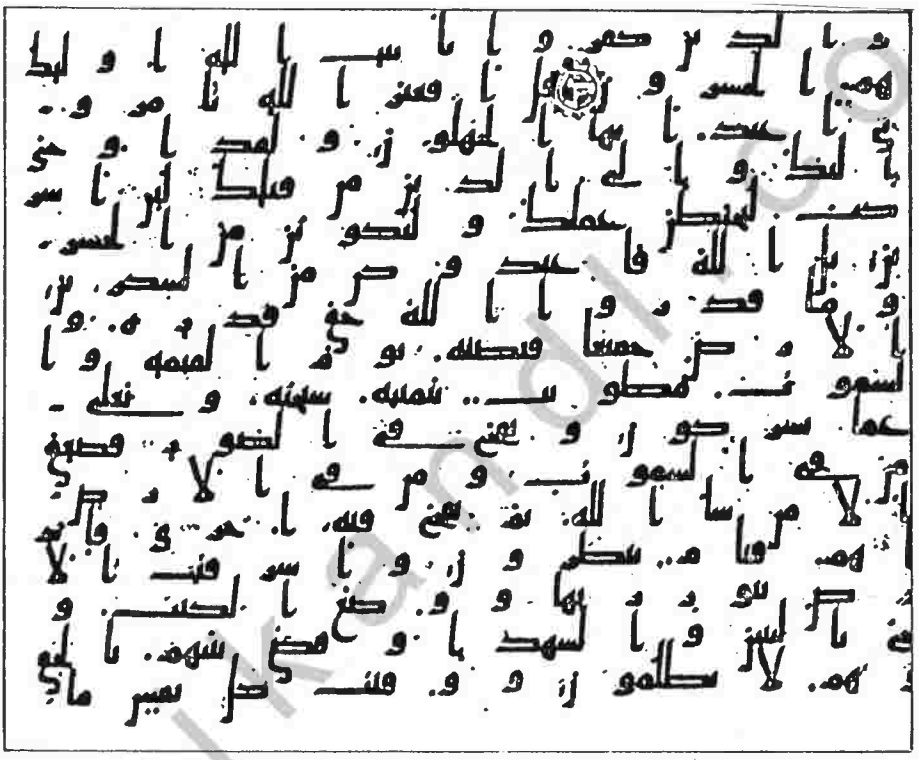

الشكل رقم (٢) صفحة مصحف من الرق بخط كوفي منقوطة على طريقة أبي الأسود الدولي. مجهولة المصدر أواخر القرن ١ ـ ٢هـ / ٧ ـ ٨ م. لاحظ في السطر الثاني يوجد نقش قريب من حرف الهاء (؟) كعلامة ترقيم توضع بعد الآية الخامسة

obeikandl.com

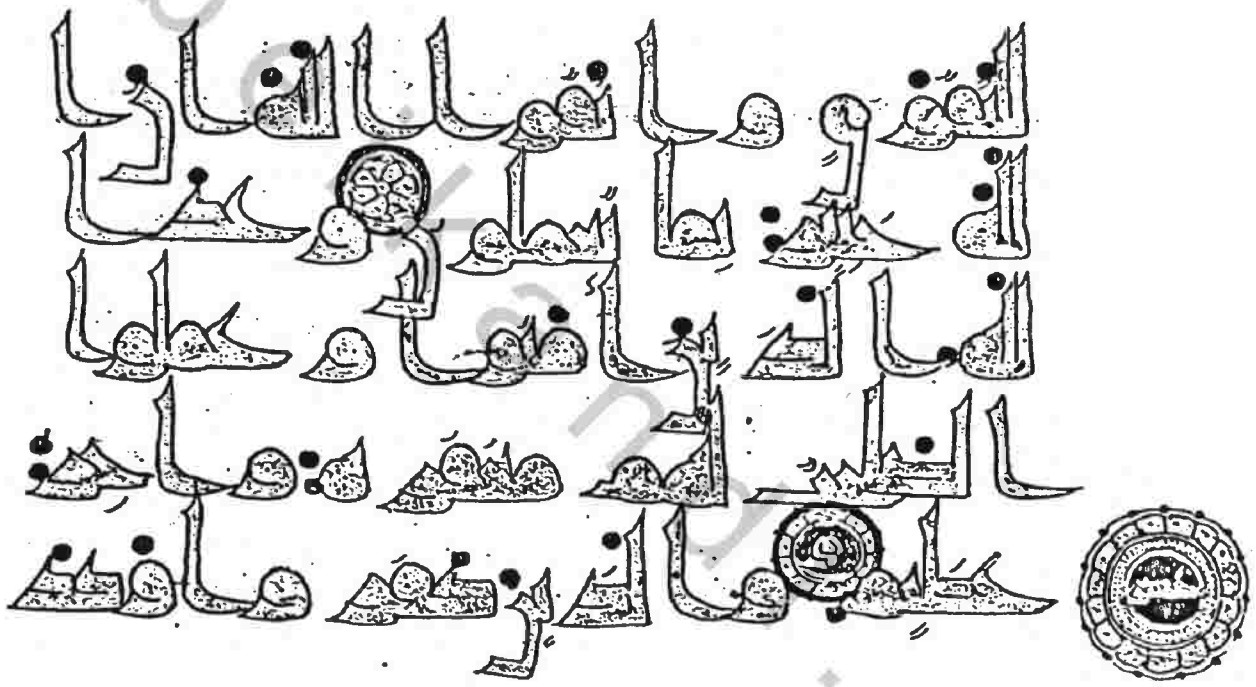

المصدر كتاب: الخط العربي من خلال المخطوطات الرياض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ ص ٢٢٦

الشكل رقم (٣) صورة من مصحف مخطوط يتضمن في السطر الأخير حرف الياء والدال على الآية العاشرة وعلى الهامش الأيمن يظهر نقش وبداخله عشر.

obeikandl.com

المصدر: كتاب الخط العربي من خلال المخطوطات. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ. ص١٣٣

الشكل رقم (٤) مخطوطة تشتمل على أشكال زخرفية تميز نهايات الجمل

أما الدليل الأول فيحسن أن نرد عليه من خلال عرضنا لعلامات الترقيم نفسها. وسنرى من خلال ذلك متى تكون ضرورية، ومتى تكون عاملا في توضيح الأفكار للقارئ، وتوصيلها إلى ذهنه في يسر وسلاسة. ونبدأ بالعلامات ذات الوظائف المحددة، والتي لا تمثل صعوبة في استخدامها.

١ ـ علامة التنصيص:

يلزم استخدام علامة التنصيص ـ وهي على النحو التالي «ـ» ـ في المواضع الآتية:

أ) عند اقتباس نص بلفظه ليس من كلام الكاتب حتى يميز القارئ بين كلام الكاتب وكلام غيره:

مثال:

اعترف العلماء والفلاسفة والمؤرخون في العالم كله بفضل العرب على الحضارة الأوربية. ويُنَوِّهُ جوستاف لوبون بهذه الحقيقة في وضوح حيث يقول:

«كانت كتب العرب المرجع الوحيد لعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك في أوربا مدة تزيد على خمسة قرون. أما كتب الطب ذاتها فقد ظلت المرجع الأساسي والرئيسي خمسة قرون. وقد خصصت جامعة بريستون أكبر جناح في أجمل بناء لعرض مآثر الطبيب العربي أبي بكر الرازي.».

التعليق:

لم نعد في شك الآن بعد وضع علامة التنصيص حول بداية الاقتباس ونهايته، وأنه بنص كلمات العالم الفرنسي، وليس منقولا بالمعنى الذي فهمه الكاتب.

ب) عند ذكر عناوين كتب أو مقالات أو أبحاث:

مثال:

يؤكد شتراوس في بحوثه «اضطراب التعليم عند الطفل المصاب في مخه» وجود معوقات في الإدراك الحسي واللغة والفهم والسلوك السوي...

التعليق:

لاشك في أن القارئ يجد اضطرابا في هذه العبارة ولا يستطيع استيعاب مايريده الكاتب، أمَا وقد أصبحت العبارة واضحة وقابلة للفهم الصحيح بعد وضع علامة التنصيص فقد دلتنا على أن هذه البحوث قد نشرها شتراوس بعنوان «اضطراب التعليم عند الطفل المصاب في مخه»، وأنه يؤكد وجود معوقات في الإدراك...

جـ) عند الحديث عن لفظة ومناقشة معانيها واستخداماتها، وليس في سياق الكلمة:

مثال:

انتهت هذه الدراسة إلى أنَّ «إنْ» وردت في القرآن الكريم أكثر مما وردت «إذا» وذلك ما يفهم من قول الأقدمين: إنّ «إذا» تقع شرطا في الأشياء المحققة الوقوع ولذا وردت شروط القرآن بها.

التعليق:

لعل القارئ يشعر، عند قراءة هذه العبارة لأول مرة، وجود خطأ في التعبير حيث لم نعتد قراءة أن إن إذا، ثم ماذا يقصد الكاتب بقوله: أكثر مما وردت إذا؟

obeikandl.com

وقد يتبين القارئ بعد تأمل وقراءتها ثانية أن الكاتب إنما يتحدث عن «إن»، و «إذا» الشرطيتين. ولذا وجب وضعهما بين هاتين العلامتين منعا للبس.

٢ ــ علامة الحصر:

وهي قوسان هلالان (-) وأحيانا معقوفان [-].

فأما القوسان الهلالان فلهما استخدامات عدة يوضع بينهما كل عبارة يراد حصرها، أو تحديد معنى عام سابق عليها، أو شرح لمعنى غامض، أو تمثيل لمجمل، أو إشارة إلى موضع في وسط الكلام ولفت النظر إليه، أو عبارة يراد الاحتراس لها، أو إضافات أو سَقَطٍ في نص يحقق، وإليك تفصيل هذا كله:

أ) حصر معنى عام سابق عليها أو تحديده:

مثال:

ربما يتبادر إلى الذهن في تعريف «سابير» للغة بأنها نبرات صوتية (تصدرها أعضاء النطق) أي أنَّ هناك أعضاء خلقت بطبيعتها للنطق.

التعليق:

هكذا ساعد القوسان على تحديد أهمية كل لفظة في العبارة وأنها ليست متساوية في التأكيد، إذ قد يجد الكاتب عمومية في عبارة «نبرات صوتية» فهي تنطبق على كل صوت يصدره الإنسان بيديه أو أنفه مثلا، ولذلك يحسن أن يضيف تحديدا للمقصود منها.

ولكنه لا يريد أن يجعل هذه العبارة الزائدة جزءاً أساساً في صياغة الفكرة وتسلسلها، بل يريد حصر انتباه القارئ في طبيعة النبرات الصوتية وأنها غير غريزية بل مكتسبة.

ب) شرح معنى غامض سابق عليها:

ومثاله:

«... ولكن حدث في القرن الرابع الميلادي، أن حقق اليونانيون وحدة لغوية، اختاروا لها أفصح اللغات، وهي لغة أيونا (الساحل الغربي لأسيا الصغرى) ولغة أتيكا (أثينا وضواحيها)».

التعليق:

لعل الكاتب توقف عند كلمتي «أيونا» وأتيكا» وشعر أن بعض القراء قد لايعرفون ماذا تعنيان. ولذلك فضَّل أن يشرح لهم المقصود بهاتين الكلمتين فوضعهما بين قوسين ليميز بين الجزء الأساس وغير الأساس من أجزاء العبارة.

جـ) تمثيل لمجمل سابق عليها، وقد ينسحب ذلك على الجملة المعترضة أيضا كما سيأتي:

مثال:

من الميزات العامة للغات السامية (العربية والعبرية مثلا) وجود الجملة الاسمية، أي التي تقوم على مبتدأ وخبر دون رابطة لفظية بينهما، من فعل مساعد أو غيره. كما هي الحال في مجموعة اللغات الهندية الأوربية (الفارسية والألمانية مثلا).

التعليق:

نجد الكاتب هنا شعر بأنه قد يكون هناك عدد من القراء لايعرفون المقصود باللغات السامية أو اللغات الهندية الأوربية. فوجد من الأفضل إعطاء أمثلة لكل من المجموعتين اللغويتين حتى تتضح الفكرة أمامهم.

ولكنه لم يقصد أن تكون هذه الأمثلة على قدم المساواة مع أجزاء الفكرة الأساسية فوضعها بين قوسين.

د) الإشارة إلى مرجع في وسط الكلام ولفت النظر إليه:

مثال ذلك:

سبق أن تحدثنا عن مقومات الفقرة السليمة (ارجع إلى الفصل الرابع من هذا الكتاب).

التعليق:

الإشارة هنا إلى الفصل الرابع من هذا الكتاب يشرح الفقرة السليمة ومقوماتها، لذا وضعت هذه الجملة بين قوسين ليعرف القارئ مكان ذلك الحديث من هذا الكتاب.

هـ) العبارة التي يراد الاحتراس لها:

وَلَستُ بِذَاخرٍ أبَداً طَعَاماً (حذارِ غَدٍ) لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

التعليق:

الشاعر هنا يريد أن يحترس بعبارة (حذار غد) فهو لا يريد أن يَدَّخرَ طعاما خوفا لما يأتي به الغد، إنما هو يريد أن يعيش يومه، أما غده فأمره إلى الله.

وأما المعقوفان [ ] فيستخدمان لاحتواء الإضافات والسَّقط في نص يحقق. وهنا يستخدم القوسان المعقوفان، كما تقتضي بذلك اصطلاحات اللغة العربية في تمييز الإضافات أو السقط.

obeikandl.com

٣ ــ علامة الحذف:

وهي ثلاث نقط متوالية على السطر، ترسم هكذا (...) وتستخدم في المواضع الآتية:

للدلالة على إسقاط لفظة أو أكثر من النص المقتبس ، إما للاقتصار على ذكر المهم منه، وإما لذكر بعضه، وإما لاستقباح ذكره، وإما توضع في مكان نص لم يعثر الناقل عليه.

أ) الاقتصار على ذكر المهم:

ومثاله:

يقول الدكتور محمد مندور: « إنني لا أعدل بكتاب (دلائل الإعجاز) كتابا آخر... فالدلائل يشتمل على نظرية في اللغة وتطبيق تلك النظرية... فالأدب فن لغوي ومنهجه هو المنهج الفقهي كما قال عبد القاهر وطَبَّقَه في (دلائل الإعجاز)... ».

التعليق:

هذا اقتباس لرأي أحد الأساتذة حول قيمة كتاب (دلائل الإعجاز) للعلامة عبدالقادر الجرجاني.

ومن شروط الاقتباس أن ينقل بنصه بكل أمانة ودون أدنى تحريف. ولكن النص المقتبس قد يحتوي على أجزاء لاتخدم الغرض من اقتباسه. والكاتب هنا يستدل على قيمة هذا الكتاب بما قاله الدكتور مندور عنه ونص كلام الدكتور مندور هو:

«إنني لا أعدل بكتاب (دلائل الإعجاز) كتابا آخر. وأما (أسرار البلاغة) فمرتبته في نظري دون (الدلائل) بكثير. فالدلائل تشتمل على نظرية في اللغة وتطبيق تلك النظرية.

وأما (الأسرار) فأقرب إلى الفلسفة النظرية منه إلى النقد الأدبي. فالأدب فن لغوي ومنهجه هو المنهج الفقهي، كما فهمه عبد القاهر وطبقه في (دلائل الإعجاز)».

والثاني: ـ يتعلق بكتاب آخر هو (أسرار البلاغة).

وموضوع الحديث هو الكتاب الأول، ولا شأن لنا بالكتاب الآخر. فإذا أسقطنا العبارات الخارجة عن عرضنا وهي التي تتحدث عن كتاب (أسرار البلاغة) بدا الاقتباس وكأنه غير أمين، ولم يقله صاحبه هكذا وإذا أوردنا النص كاملا ـ للأمانة العلمية ـ شغلنا ذهن القارئ بأمر خارج عن موضوعنا ولم نشر إليه في حديثا.

هنا لابد من وضع نقاط ثلاث متوالية (...) بدل العبارة التي لانحتاج إليها من الاقتباس.

ب) للدلالة على أن للمذكور بقية:

ومثاله:

معظم الأفعال في اللغة العربية تتكون من ثلاثة أحرف أصلية مثل ضرب، شرب، كرم، أكل...

جـ) للدلالة على استقباح ذكر المحذوف:

ونجد أمثلة وشواهد على ذلك في كتب التراث وفي دواوين الشعر، وغيرها.

د) للدلالة على نص لم يعثر الناقل عليه:

ونجد أمثلة ذلك في بعض كتب التراث المحققة أو دواوين الشعر.

٤ ـ الشَّرطَةُ:

وتدلُّ على حصر الجملة المعترضة، أو الشرح، أو الإضافة، أو عوضًا عن تكرار الأعلام المتحاورة أو بعد العدد الترتيبي وغير ذلك: وهي على النحو التالي ـ ... ـ في المواضع الآتية:

أ) للدلالة على حصر الجملة المعترضة:

ومثاله:

مقومات البناء الداخلي للفقرة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هي أن تكون محددة ومترابطة، ومتوازنة، ومتسلسلة.

ب) للدلالة على الشرح:

ويقال فيها ما يقال في القوسين للدلالة على تمثيل لمجمل سابق.

جـ) للدلالة على الإضافة:

ومثاله:

فلما سار يزيد بن عبدالملك إلى خراسان، استخلف على مدينة (واسط) ـ وكانت يومئذ عاصمة العراق ـ الجراح، وهذا دليل على كفايته المتميزة.

د) للعوض عن تكرار أسماء المتحاورين:

مثل:

قال علي لوالده: أريد أن أذهب إلى الحج.

obeikandl.com

ـ ألديك القدرة على ذلك من صحة ومال؟

ـ نعم.

ـ إذاً، سر على بركة الله.

ـ شكرا لك ياوالدي.

ومثل:

سمع عدي بن حاتم رجلا من الأعراب وهو يقول:

ـ ياقَومُ تصدَّقوا على شَيخٍ مُعيل، وعَابرِ سَبيل، شهدَ له ظاهِرُه، وسَمَع شكوَاه خَالقُه، بَدَنُه مطلُوب، وثَوبه مَسلُوب.

ـ من أنت؟

ـ رجلٌ من بني سعد في دِيَةٍ لزمَتني.

ـ فكم هي؟

ـ مائةُ بعير.

ـ دونَكَها في بطنِ الوادي.

هـ) بعد العدد الترتيبي:

مثل: بدأت جامعة الملك سعود بأربع كليات هي:

١ ـ كلية الآداب.

٢ ـ كلية العلوم.

٣ ـ كلية العلوم الإدارية (التجارة سابقاً).

٤ ـ كلية الصيدلة.

obeikandl.com

٥ ــ علامة المتابعة:

هي شرطتان متوازيتان توضعان في نهاية الجزء الأول من الحاشية وبداية الجزء الثاني منها في الصفحة المقابلة، أو التي تليها. وترسم هكذا=.

التعليق:

إذا نظرنا في الأمثلة السابقة، يتضح لنا مدى أهمية الشَّرطة في الاختصار، أو الزيادة، أو الإيضاح لمعنى مستغلق.

٦ ــ الفاصلة أو الشولة:

[ترسم هكذا (،)].

وهي علامة الوقف على الجملة الصغرى. وتدل على التمهل أو التفاوت في درجة الصوت. وكما أن التمهل أو التمايز في درجة الصوت يساعدان على نقل المعنى بوضوح أكثر إلى السامع، فكذلك الفاصلة تقوم بالوظيفة نفسها للقارئ.

أ) لعل أكثر مواضع استخدام الفاصلة شيوعا بين الجمل المعطوفة على بعضها:

ومثاله:

للمسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ، صحن سوره من اللبن، وأساسه من الحجارة، ولم يكن لرحبته سقف. حتى شكا المسلمون إلى الرسول ﷺ شدة الحر، فأقام مظلة، وجعل في المسجد سَوارِيَ من جذوع النخل، ثم طُرِحَت عليها العوارض والسُّقُفْ.

ب) بين المعطوفات من مفردات (أسماء أو أشباه جمل تفيد التقسيم أو التنويع):

ومثاله:

ـ تنقسم المملكة العربية السعودية إلى خمس مناطق هي: المنطقة الوسطي، والمنطقة الشرقية، والمنطقة الغربية، والمنطقة الشمالية، والمنطقة الجنوبية.

ـ الجهات الأصلية أربع هي: الشمال، والجنوب، والشرق ، والغرب.

ـ يجب أن يكون الإنسان تقيا في المنزل، وفي الشارع، وفي العمل، وفي المسجد، وفي كل معاملاته.

جـ) بين الجمل الصغرى:

ومثاله:

من المقامة البغدادية للحريري على لسان عجوز مستجدية:

«... نَبَا النَّاظِرُ، وجَفَا الحاجِبُ، وذَهَبت العَينُ، وفُقِدَتِ الرَّاحةُ، وَصَلُدَ الزَّنَدُ، وَوَهَتِ اليَمِينُ، وَضَاعَ اليَسارُ، وبَانَتِ المَرَافِقُ».

د) بعد المنادى المتصل:

ومثاله:

ياعمرو، إن موعد السفر قد حان.

هـ) بعد حرف الجواب في أول الجملة (نعم، لا، بلى، كلا...):

ومثاله:

نعم، إني أعرف طريقي إلى الجامعة.

لا، لم يفت الأوان.

بلى، لقد حضر الأستاذ.

كلا، لم أجد قلمي.

obeikandl.com

و) بين لفظ البدل والمبدل منه:

ومثاله:

دخل المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما على أذنه قلم فقال: «من أنت ياغلام»؟ قال: «أنا النَّاشِئُ في دَولَتِكَ، والمؤمِّل نِعْمتَكَ، الحَسنُ بن رَجَاء».

وأخيراً يجب أن نحترس في وضع الفاصلة، فلا نكثر من استخدامها بدون داع مثلا لاتوضع الفاصلة بين أركان الجملة الرَّئيسة (المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل).

ومثاله:

حضر عمرو من الخارج ليلة أمس.

لا يجوز مطلقا وضع الفاصلة في أي مكان من هذه الجملة لأن كل كلمة فيها متصلة بما قبلها اتصالا وثيقا.

٧ ـ الفاصلة المنقوطة:

[وهي على هذا النحو (؛)].

وتستخدم للبيان أو للشرح أو للتفصيل. وتدل على وقفة قصيرة كافية كما يتضح من تسميتها فهي ليست بالنقطة الكاملة، وليست بالفاصلة المهملة. وفي الأمثلة التالية تفصيل لمواضع استخدامها:

أ) بين جملتين بينهما علاقة في المعنى:

مثل :

استأذن رجل المأمون في تقبيل يده، فقال له: إنَّ قُبلَةَ اليد من المُسلِمِ ذِلَّةٌ، ومن الذِّميِّ خَدِيعَةٌ؛ ولا حَاجَةَ بِكَ أن تَذِلَّ، ولا بِنَا أن نُخْدَعَ».

ومثل قول فتى سأله عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ: ما بَلَغَ بِكَ مَا أرى؟ قال: «ذُقْتُ يَوماً حَلاَوةَ الدُّنيا فوجَدْتُها مُرَّةً عَواقبُها؛ فاستوى عِندي حَجَرُهَا وَذَهَبُها».

ب) بين جملتين بينهما مشاركة في المعنى

ومثاله:

كان الناس قديما يرتبطون ارتباطا وثيقا في قراهم؛ التي فيها ولدوا، وفيها عاشوا، وعلى أرضها ماتوا.

جـ) بين جملتين تربطهما علاقة سببية، فتكون ما قبلها سبباً لما بعدها

ومثاله: حفظ الولد درسه؛ فنجح.

التعليق

الفاصلة المنقوطة، قد تقوم مقام نقطة الوقف إلاّ أن الأخيرة أتم في معنى الوقف. ولعلنا نلاحظ أن الفاصلة المنقوطة لاتصلح لأن تكون رابطة بين جملتين كما هي الحال في الفاصلة المهملة.

٨ ــ النقطة

[وهي على هذا النحو(.)].

وتستخدم للدلالة على انتهاء الجملة التامة، أو الفقرة.

أ) مثال استخدام النقطة الدالة على انتهاء الجملة التامة

رُبَّ سامعٍ خبري، لم يَسْمَع عُذرِي. ورُبّ ملُومٍ لاذَنْبَ له. ولَعلَّ له عُذراً وأنتَ تَلُومُ.

ب) ومثال استخدام النقطة الدالة على انتهاء الفقرة

وأهم ما يميز الخطابة في صدر الإسلام عذوبة ألفاظها، ومتانة أسلوبها، وقوة تأثيرها واقتباسها من القرآن الكريم، وانتاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، وابتداؤها بحمد الله والصلاة على رسوله.

وظلّ العرب على ما ألفوه في الجاهلية من لوث العمامة، واتخاذ المخصرة، والوقوف على نَشَزٍ من الأرض، والخطبة من قيام، إلا الوليد بن عبد الملك فإنه خطب وهو جالس.

وجملة القول إنه ليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحَفِلَ بالخطباء، كهذا العصر، لانصراف العرب عن الشعر إليها، واعتمادهم في الدين والسياسة عليها.

٩ ــ النقطتان المتوازيتان

[وهما على هذا النحو(:)].

وتستخدمان عاملا مساعدا على توضيح الكتابة للقارئ، وتوفير جهده الذهني في متابعة العلاقة بين أجزاء الجملة وذلك في المواضع التالية:

أ) يلفتان الانتباه إلى أن تفسيرا وتجزيئا سيأتي بعد أمر مجمل

مثل:

«لقد جعلنا هذا الكتاب في عشرة فصول: الأول يتناول العلاقة بين الفكر واللغة والثاني يتناول اللفظة، والثالث يعالج الجملة...»

ب) يلفتان الانتباه أيضا إلى الكلام المنقول بحرفه، أو المحكي بمعناه

ومثال المنقول بحرفه:

● قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾

● سأل الرجل الشرطي: أيّ الطرق يؤدي إلى مكة المكرمة؟

ومثال المحكي بمعناه:

سمعت إمام المسجد يحدث الناس بما معناه:

إن الناس مَجْزِيُّونَ بأَعْمَالِهِم: إنْ خَيْراً فَخَيْر ، وإن شَرّاً فشَر.

التعليق

نلاحظ أن النقطتين المتوازيتين قد نبهتا القارئ للوهلة الأولى، أن ما بعدهما هو تفصيل لما يجيء مجملا قبلهما. وبذلك وفرتا عليه الجهد الذهني الذي كان سيصرفه في متابعة الفكرة.

١٠ ــ علامة الاستفهام

[وهي على هذا النحو(؟)].

أ) وتستخدم للدلالة على السؤال المتضمن في الجملة السابقة عليها، والسؤال قد يكون صريحا مبدوءا بحرف أو اسم يدل على الاستفهام، مثل:

كيف حالك؟

ماذ يعني هذا القول؟

هل يمكن تحقيق ذلك؟

obeikandl.com

ب) عند الشك في معلومة ما أو عدم التأكد من صدقها، مثل: لا نعرف على وجه اليقين تاريخ وفاة الخليل بن أحمد: هل توفي سنة مائة وسبعين للهجرة؟ أو أنه توفي عام خمس وسبعين ومائة؟ أو كانت وفاته سنة ثمانين ومائة؟ سنحاول عرض الروايات المختلفة.

هذا سؤال واحد حول تاريخ وفاة العالم العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولكنه مقسم إلى عدة أجزاء، كل منها يعتبر سؤالا قائما بذاته، ومن ثَمَّ ينبغي وضع علامة الاستفهام بعد كل جزء تأكيدا للتساؤل فيه.

جـ) للدلالة على التساؤل، في بعض الأحيان لا يستخدم الكاتب أية أداة من أدوات الاستفهام وهنا يلزم وضع علامة الاستفهام للدلالة على التساؤل، ويكون ذلك عادة في لغة الحوار، مثال:

- أنت خائف؟
- أنا؟ ومم أخاف؟

١١ ــ علامة التعجب أو الانفعال

تدل على التعجب من أمر أو شيء وتأتي على هذا النحو (!) في الأحوال التالية:

أ) بعد صيغة التعجب القياسية في اللغة العربية (ما أفعل).

كقولنا:

ما أجمل الربيع!

ما أكثر ما استذكر محمد دروسه!

ما أروع السماء!

obeikandl.com

ب) بعد صيغ التعجب السماعية

وهي كثيرة، منها:

لله دره شاعراً!

إلهي، كم هذا رائع!

أي فرس أصيلة حرون!

ويحك!

وفي هذه الأمثلة توضع علامة التعجب لتؤكد شعور الكاتب بالتعجب والدهشة مَثَلُهَا مَثَلُ علامة الاستفهام عند بدء السؤال بأداة للاستفهام.

جـ) قد يتعجب الإنسان من فكرة دون أن يصوغها في صورة تعجب

وهنا يعمد الكاتب إلى وضع علامة التعجب لينقل تعجبه من الفكرة إلى القارئ.

أمثلة:

- تمكن العلماء من تصميم مَوْقدٍ يعمل بالأشعة السينية. إذا وضعت يدك عليه لاتشعر بأي حرارة، فإذا وضعت عليه إناءً به ماء فإنه يسخن بدرجة عالية في ثوان قليلة!

- تقطع الطائرة الكونكورد المسافة بين الولايات المتحدة وإنجلترا في ست ساعات بدلاً من ثماني عشرة ساعة تقطعها الطائرة العادية!

obeikandl.com

التعليق

هذه الأمثلة لم تصغ في قوالب التعجب التي نعرفها في اللغة العربية، بل صيغت في جمل تقريرية، ويمكن أن تُفْهَمَ على صورتها التقريرية. إلاّ أن الكاتب شعر عند كل منها بتعجب أو دهشة، وأراد أن ينقل هذه الدهشة إلى القارئ، لذلك نراه قد وضع علامة التعجب في نهاية كل جملة.

د) بعد مواقف انفعالية مؤثرة، قد يمر الإنسان بمواقف مؤثرة يختلج في نفسه شعور بالرهبة منه، أو الرغبة فيه، أو موقف مدح، أو ذم، ومثال ذلك، قول جارية وقد وقفت على قبر أبيها:

«يَا أبتِ مثلُ يومِكَ لم أرَه!»

ومثاله أيضاً: يالَيتَ لنا مِثْل ما أوتِيَ قارُون!

ومثاله أيضاً: حبَّذا الكريم! وبئسَ اللَّئيم!

أو غير ذلك مما يفيد الترَّجِّي والدعاء والتذمر والتأفف

ربنا وتقبل دعاء!

اللهم أغثنا!

بلغ السيل الزبا!

أف لكما ولما تعبدون!

وتأتي بعد علامة الاستفهام الإنكاري مثل:

أغير الله تدعون؟!

التعليق

هذه الأمثلة كلها تدل على الانفعال النفسي سواء عبر عنه المتحدث أو الكاتب بعلامات تبدو على وجهه أو على رسم كتابته. وهناك أمثلة أخرى قد تدخل عليها علامات الانفعال يلاحظها القارئ أو الكاتب.

والآن لاشك أننا قد اقتنعنا بوظيفة علامات الترقيم في الكتابة فهي ليست زينة ولا زخرفة، بل ضرورة في إيصال ما يريده الكاتب إلى قارئه دون لبس ولا غموض ولا اضطراب ويهمنا هنا أن نؤكد مسألتين على جانب كبير من الأهمية:

الأولى: أن يتدرب الإنسان على استخدامها منذ فترة مبكرة في حياته العلمية حتى تصبح طبيعة مكتسبة لديه.

الثانية: أن يكون الكاتب منسقا في استخدامها حسب القواعد التي تعلمها.

وليس ضربة لازب أن تكون هذه الاستخدامات لعلامات الترقيم متَّفقاً عليها. إنما هنالك من يّجد غير ذلك سواء في رسم هذه العلامات، أو في استخدامها أو في تسميتها أحيانا.

وثمة نقطة أخيرة تتمثل في السؤال الآتي:

لو أن الكاتب أهمل علامات الترقيم وتجاهلها، من الخاسر؟ أهو الكاتب أم القارئ؟

والجواب، لاشك أنه الكاتب، ذلك لأن الكاتب يعنيه أن يكسب القارئ لا أن صرفه عنه. والقارئ يريد أفكارا واضحة غير مضطربة. ولقد رأينا كيف تساعد علامات الترقيم على تحقيق هذا الهدف.

علامات التحرير الفني ومراجعة تجارب الطباعة

هي علامات مقننة ومتعارف عليها دوليّا، يحتاجها كل من الكاتب والمحرر لتصحيح تجارب طباعة البحث والكتاب، كما يحتاجها الناشر ليأمن الزلل فيما ينشره حتى يخرج خلواً من الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية والفنية. وتتضمن القائمة التالية أكثر هذه العلامات استخداماً.

قائمة ببعض علامات التحرير الفني ومراجعة تجارب الطباعة المتعارف عليها دولياً*

الرمز في الهامش	دلالته	الخطأ	الصواب
	إزالة الحرف	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	ضم الأحرف في كلمة واحدة	جا معة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	وسع بين الأحرف أو الكلمات	جامعةالملك سعود	جامعة الملك سعود
	إزالة حرف وضم الحروف في كلمة واحدة	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	أضف مسافة في مكان العلامة	جامعةالملك سعود	جامعة الملك سعود
	وحد المسافة بين الكلمات أو السطور	جامعة /// الملك سعود	جامعة الملك سعود
	بداية فقرة جديدة (مسافتان)	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	يكمل بدون بداية في أول السطر	no جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	إدخال في بداية الكلام (مسافة واحدة)	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	حرك إلى اليمين	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	حرك إلى اليسار	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	حرك إلى أعلى	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	حرك إلى أسفل	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	يتوسط أفقيًا	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	يتوسط رأسيًا	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	تساوي الأحرف أو الكلمات أفقيًا	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
	تساوي الأسطر رأسيًا	جامعة الملك سعود جامعة الملك سعود جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود

* (ميخائيل ١٤١٨ هـ، ص ص ٣٣٧ - ٣٣٨).

تابع ـ قائمة علامات التحرير الفني ومراجعة تجارب الطباعة

الرمز في الهامش	دلالته	الخطأ	الصواب
⌒	احذف فراغ بين الأسطر	جامعة الملك سعود جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود جامعة الملك سعود
٨	أضف حرفًا أو كلمة	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
caps ≡	ما تحته ثلاثة خطوط حرف استهلالي كبير (كابتال)	king saud univ.	King Saud Univ
sc =	ما تحته خطان حرف استهلالي صغير	King Saud Univ	KING SAUD UNIV
ital	ما تحته خط مستقيم مائل (عربي أو إنجليزي)	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
bf	ما تحته خط متعرج يكون أسود	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
N	لتبادل وضع أحرف الكلمة	جامعة سعود الملك	جامعة الملك سعود
wf.	حرف مغاير للبنط المستعمل (وحد البنط)	King Saud	King Saud
lc.	أحرف صغيرة	King Saud	King Saud
سهم	حرف أبيض وليس أسود	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
—	بنط غير مائل	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
≈	ما تحته خطان متعرج ومستقيم ، بنط أسود مائل	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
⊙	أضف نقطة	جامعة الملك سعود ⊙	جامعة الملك سعود .
stet	إجع ما سبق إلغاؤه	جامعة الملك سعود stet	جامعة الملك سعود
(/)	أضف قوسًا عاديًا	(جامعة الملك سعود	(جامعة) الملك سعود
[/]	أضف قوسًا مربعًا	[جامعة الملك سعود	[جامعة] الملك سعود
⌣	لاتصال سطر بما قبله	جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
٧	العلامة أو الرقم المحددان بالإشارة يصفّان أعلى الحرف	١٠/٥	١٠ ٥
٨	العلامة أو الرقم المحددان بالإشارة يصفّان أسفل الحرف	٢/٤	٤ ٢
٨	أضف فاصلة	جامعة الملك سعود	جامعة الملك ، سعود
؟	أضف علامة استفهام	هل أديت واجبك ؟	هل أديت واجبك؟
١/٢	أضف شرطة طويلة	١/٢ جامعة الملك سعود	ـ جامعة الملك سعود
١/٢	أضف شرطة قصيرة	١/٢ جامعة الملك سعود	- جامعة الملك سعود

obeikandl.com

تابع ـ قائمة علامات التحرير الفني و مراجعة تجارب الطباعة

الرمز في الهامش	دلالتـه	الخطـأ	الصـواب
⌐ /	أضف فاصلة منقوطة	جامعة الملك سعود /	جامعة الملك سعود ؛
⌐/	أضف نقطتين رأسيتين	جامعة الملك سعود /	جامعة الملك سعود :
⌐ ⌐	أضف علامتي التنصيص	جامعة الملك سعود	«جامعة الملك سعود»

obeikandl.com